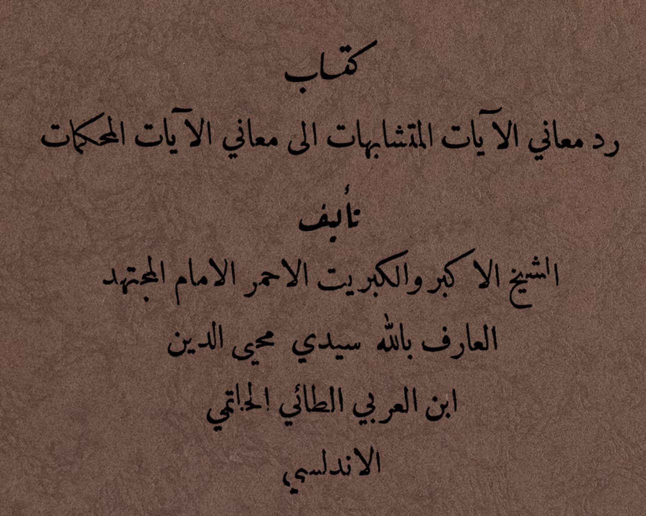


كتاب

رد معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات

تأليف

الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر الامام المجتهد
العارف بالله سيدي محيي الدين
ابن العربي الطائي الحاتمي
الاندلسي

القائل

ولكل عصر واحد يزهو به   وانا لباقي العصر ذاك الواحد



مطبعة الاستقامة في بيروت لصاحبهما يوسف سنو
طبع سنة ١٣٢٨

كتاب

رد معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات

تأليف

الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر الامام المجتهد

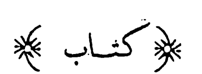
العارف بالله سيدي محي الدين

ابن العربي الطائي الحاتمي

الاندلسي

القائل

ولكل عصر واحد يزهو به   وانا لباقي العصر ذاك الواحد



رد معاني الآيات المتشابهات الى معاني الآيات المحكمات



الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر الأمام المجتهد
العارف بالله محيي الدين ابو عبد الله محمد
ابن علي بن محمد بن العربي الطائي
الحاتمي الاندلسي



ولكل عصر واحد يزهو به   وأنا لباقي العصر ذاك الواحد

مطبعة الاستقامة في بيروت لصاحبها يوسف سنو
طبع سنة ١٣٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الواحد بذاته وصفاته المنزه في احديته * عن مشابهة مخلوقاته * وصلواتهُ عَلَى محمدٍ عبدِهِ ورسوله الموضح بسنته متشابه آياته * الباقي مدده لاوليائه بعد مماته * كما كان لهم في حياته وعَلَى آله وصحبه الذين كان احدهم اذا زاره في قبره سلم عليه ورفع يديه كما كان يرفعهما عند افتتاح صلاته وسلم تسليماً كثيراً (فانك) سالتني ارشدني الله واياك عن امر عظم في هذا الزمان خطبه وعمّ ضرره وهو ما تظاهر به بعض المبتدعة المنتسبين الى الحديث والفقه واشاعه في العامة والخاصة من اعتقاد ظواهر الآيات المتشابهة في اسمائه تعالى وصفاته من غير تعرض لصرفها عما يوهم التشبيه والتجسيم ويزعم انه في ذلك متمسك بالكتاب وماشٍ في طريقة السلف الصالح ويشنع عَلَى من تعرض الى شيء منها بتأويل او صرفه عن ظاهره بدليل وينسبه في ذلك الى مخالفة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين لكونهم ما نقل عنهم التعرض لشيء من ذلك وقد ضلّ واضل كثيراً وما يضل به الا من هو قاصر الفهم ضعيف النور (وحيث) سالتني عن ذلك ورغبت في املاء شيء عليك فلا بد من الاجابة عَلَى سبيل النصيحة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولائمة المسلمين وعامتهم رضي الله عنهم اجمعين (فاعلم) امدّني الله واياك بمدد توفيقه ان من اجل منح الله تعالى عَلَى عبده طهارة قلبه وسلامة فطرته وقلة منطقه فانه بذلك يلقن الحكمة ويسمع هواتف الحق في كل نفس من انفاسه ويضيء له في ليل المتشابه مصباح المحكم فيرسخ قدم صدقه في معرفة ربه سبحانه ويحيي بلده الطيب بغيث الهدى والعلم فيخرج نباته بأذن ربه كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويسلك بنحل افكاره سبل الاستقامة فيخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس (وقد) كان للصحابة رضوان الله عليهم من هذا المشرب أصفاه واعذبه ومن العلم بالكتاب والسنة ازكاه واطيبه وكيف لا يكونون كذلك وقد تليت عليهم

آيات الله وفيهم رسوله ولهم بالاعتصام بالله ما ضمنت لهم به الهداية والاستقامة ومن يعتصم بالله فقد هديَ الي صراط مستقيم يعلمون الناسخ والمنسوخ بالمعاصرة واسباب النزول بالوقايع و يفهمون ما اودع في مواقع التركيب واساليب البيـان بالطباع يردون ما اختلفوا فيه الي الله والرسول فيعلمه الذين يستنبطونه منهم وهم الراسخون في العلم وأولوا الامر يتدبرون القرآن و يردون المتشـابه الي معنى المحكم و يقولون آمنا كل من عند ربنا فلا اختلاف فيه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافـاً كثيراً ولأجل ذلك لم ينقل عنهم اعتنـاء بايضـاح آيات الاسماء والصفات ولا اكثروا السوال عنها لعدم اشكالها بحسب لغتهم ولا تسـاع مجال افهامهم في معانيها الصحيحة وكان من ادبهم رضي الله عنهم ان لا يثق احـدهم بفهمه في استيعاب المراد منها فسكتوا عنها مفوضين الي كل فهم صحيح ما منحه الله تعالي من الاتساع الموافق للغة والآيات المحكمة (كما) في صحيح البخاري وغيره عن ابي جحيفة قال قلت لعلي كرّم الله وجهه هل عندكم كتاب قال لا الأ كتاب الله او فهماً اعطيه رجل مسلم او ما في هـذه الصحيفة وفي بعض الروايات الا ما يعطيه الله عبده فهماً في القرآن (فلما) انقطع بموته صلي الله عليه وسلم عن ظواهر الأسماع مدد روح الوحي وعفت عهود الوقائع بانقراض علماء الصحابة رضي الله عنهم وضعف استنباط المشابه من المحكم بمخالطة النبط وانعجم المعنى الواضح بملابسة العجم وحصل التمرُّج في القلوب فزاغت وحجبت عن هواتف الغيب وكثر الكلام فيما لا يعنى فقل آيتاء الحكمة هنالك ظهرت ارباب البدع واشكل معني المتشـابه فاتبعه من في قلبه زيغ وكاد الامر يلتبس لولا ما ايد الله تعالي به هذه الامة من العلماء الوارثين والسلف الصـالح فنهضوا لمناظرة ارباب البدع وتخطيئتهم وحل شبههم ونهوا الناس عن اتبـاعهم وعن الاصغـاء اليهم وعن التعرض بالآراء المتشـابهة وحسموا مادة الجدال فيه والسوال عنه سداً للذريعة واستغنـاءً عنه بالمحكم وامروا بالايمان وبامراره كما جاء من غير تعطيل ولا تشبيه وكان هذا في عصرهم مغنياً لولا ان المبتدعة دوّنوا بدعهم ونصبوا اشاليها اشراك الشبهة والاهواء المضلة (فوفق) الله سبحانه الراسخين من علماء السنة فدونوا في الرد عليهم الكتب

الكلامية وايدوها بالحجج العقلية والبراهين المقيدة من الكتـاب والسنة الى ان اظهر الله الحق عَلَى السنتهم وقمع اهل الباطل والزيغ وإطفاء نار البدع والاهواء فجزاهم الله تعالى عن نصيحة هذه الامة افضل الجزاء (ولنشرع)في بيان ما سألته عَلَى سبيل الاجمال ثم عَلَى سبيل التفصيل(فاعلم)هداني الله تعالى واياك لما اختلف فيه من الحق باذنه ان ربنا سبحانه وتعالى متكلم عالم مريد قدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير احديّ فلا اين ولا تركيب لذاته ازليّ فلا كيف ولا ترتيب لصفاته ابديّ فلا تناهي لجلاله واكرامه تنزه في سمعه وبصره وادراكه وبطشه عن الجوارح وعزّ في قدرته عن الشريك والمعين وجلّ في ارادته عن الاغراض وتفرّد في كلامه عن الحروف والاصوات وتعالى في استوائه عن التشبيه والكون وتقدس في علوّه وفوقيته عن الجهـات ينزل سبحانه بلا نقلة ويجيء ويأتي بلا حركة وتراه ابصار المؤمنين بلا ادراك ولا احاطة لا حد لقربه ولا مثل لحبه ولا ثورة لغضبه ولا كيف له في رضاه وضحكه ولا شفعية الا بمعيته ولا وترية الا بظهور قهره واحديته ولا بقاء الا لأهل عنديته نفسه تعالى ذاته اوأم كتابه ووجهه نور توحيده عند اقباله وصورته تعالى مظاهر تعرفاته وظلل غمامه ويده ويداه وايديه اسماء حقائق يتصرف بها في مخلوقاته واعينه وعينه آياته المبصرة القائمة بالحفظ والرعاية للمخصوصين من عباده وقدمه قدم الصدق الذي بشر به المؤمنين وجنبه صحبته وكلاءته للذاكرين من اتباع النبيين وهو الأول والآخر فما من عرض ولا جوهر الا وهو مبدوء بأوليته مختوم بآخريته وهو الظاهر بحكمه في محكمه الباطن بعلمه في متشابه آياته وحكمه ظهر بمعيته في باطن وتريته فنشأت اعداد مصنوعاته وبطن بقدم احديته في اسماء الحوادث فرجعت بحقائق هوياته اليه ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبـده وتوكل عليه لا شريك له في ملكه وهو يؤتي الملك من يشاء ولا مثل له في كنهه وله المثل الأعلى تقدس عن النظير في الدنيا والآخرة وجوه يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظرة وتنزه عن الجهات وهو الله في السموات وتعالى عن التشبيه وله الايات المتشابهات يجتني معانيها اهـل قربه في رياض جنان ذكره كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا

الذي رزقنا من قبل واتوا بهِ متشابهاً ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون هذا ما فتح الله بهِ عَلَي سبيل الاجمال (فاما) التفصيل فلنقدم عليهِ مقدمة تكون بمثابة القاعدة والتمهيد له (وهو) انهُ ليس في الوجود فاعل الا الله تعالي وافعال العباد بجملتها عند اهل السنة والجماعة منسوبة الوجود والاختراع الي الله تعالي بلا شريك ولا معين فهي عَلَي الحقيقة فعله وله بها عليهم الحجة لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون (ومن) المعلوم ان افعال العباد لا بد فيها من توسط الآلات والجوارح مع انها منسوبة اليهِ وبذلك يعلم ان لصفاتهِ تعالى في تجلياتهِ لعبادهِ مظهرين مظهر عباديّ سفليّ منسوب لعباده وهو الصور والجوارح الجسمانية ومظهر حقيقيّ علويّ منسوب اليهِ وقد اجرى عليهِ اسماء المظاهر المنسوبة لعباده عَلَي سبيل التقريب لافهامهم والتأنيس لقلوبهم ونبه تعالى في كتابهِ العزيز عَلَي التنبيهين وانهُ منزه عن الجوارح في الحالين (ونبه) عَلَي الأول بقوله تعالي «قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم» وذلك يفهم ان كلما يظهر عَلَي ايدي العباد فهو منسوب اليهِ وفعل له وان جوارحنا مظهر له وواسطة فيهِ فهو عَلَي الحقيقة الفاعل بجوارحنا مع القطع الضروري لكل عاقل ان جوارح العبد ليست بجوارح لربنا تعالي ولا صفاتٍ له (ونبه) عَلَي الثاني بقوله تعالي فيما اخبر بهِ عنهُ نبيهُ صلى الله عليهِ وسلم في صحيح مسلم وغيره ولا يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبهُ فاذا أحببتهُ كنت سمعهِ الذي يسمع بهِ وبصره الذي يبصر بهِ ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها الحديث (وقد) حقق الله تعالي لنبينا صلي الله عليهِ وسلم ذلك بقولهِ تعالي الم تعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات بعد قولهِ تعالي خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وبقوله تعالي ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فنزّل يد نبيهِ منزلة يده في المبايعة واخذ الصدقات والرمي في قولهِ تعالي وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمي ذلك كله يفهم من انّ العبدَ اذا صار محموداً صارت افعالهُ ناشئة عن انوار علوية روحانية من عند ربهِ سبحانهُ تكون له بمثابة الجوارح وان الله سبحانه يكون له بواسطتها سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً مع القطع الضروري ان الله تعالي لا يكون جارحة لعبده (ولكن) سر

الامر في تحقيق ذلك ان الله جلت حكمتهُ ضرب لنفسهِ في دواير ملكه مثلا بالقلب في دايرة بدنه (ومن) المعلوم لكل احد ان المتصرف في دايرة بدنه هو قلبهُ ونوره شامل لجميع اجزائه وروح الحياة منهُ شايعة في سائر اقطاره وان الجوارح مظاهر لانوار القلب وتصرفاته فبنوره تبصر العين وتسمع الاذن ويشم الأنف ويذوق اللسان وينطق وتلمس الجوارح وتبطش مع العلم الضروري بان الجوارح صفات للبدن وليست صفات للقلب ولا تعلق لها به ولا ينسب اليه الا نسبة الاتباع والعبيد للملك المطاع ثم ان القلب ان غلب عليه التوجه الى عالم الشهادة تصرف في الجوارح فصار يرى بالعين ويسمع بالاذن ويبطش باليد وهو مثل لقوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) وان غلب عَلَي القلب التوجه الى عالم الغيب استتبع الجوارح فصارت هي متصرفة به فتصير العين تبصر بالقلب وكذلك باقي الحواس والجوارح وهو مثل لقوله تعالي «كنت سمعهُ الذي يسمع به» الى اخره فافهمه فانه بديع وسيأتي ان شاء الله في التفصيل ما يؤيده ويزيده وضوحًا وبهذا يتسع لك فهم ما جاء من الجوارح منسوبًا الى افعاله تعالى وصفاته فلا يشتبه بعد هذا عليك فلا تفهم من نسبتها اليه تشبهًا ولا تجسماً بل تفهم ان مثل النسبة اليه فيها كمثل نسبة الجوارح للقلب فان ذاتهُ المقدسة متعالية عن الاتصاف بها لأن الجوارح يلزمها الحدوث وذاتهُ واجبة القدم وكلما كان واجب القدم استحال عليه القدم وانما الروح الاصلي الذي هو منشاء عالم الامر هو مصباح روح التوحيد قال تعالى «ينزل الملائكة بالروح من امره عَلَي من يشاء من عباده ان انذروا انهُ لا اله الا انا» وبهذا الروح يتجلي سبحانهُ لعباده باسمائه وصفاته المحكمة والمتشابهة ومن المعلوم انهُ قد ثبت قوة التطور في الصور المختلفة للملائكة وهم من رقايق هذه الروح فلأن يكون له قوّة التجلي بايّ صورة شاء اولى وتصح نسبة تلك الي الله تعالي لتجليه فيها كما سياتي تحقيقهُ في صفة المجيء والصورة (وها انا ان شاء الله تعالي) اشرع في تفصيل الصفات المتشابهة وليس المقصود ذكر البراهين التي هي مدوّنة في الكتب الكلامية وانما المقصود رد المتشابه الي المحكم عَلَي القواعد اللغوية وتلويحات وتصريحات من الكتاب والسنة هذا تمام المقدمة ولنشرع في التفصيل.

مع بسط يد الفاقة والافتقار عسى ان يهديني ربي سواء السبيل

(فصل) من المتشابه ٠ الايات التي يذكر فيها الصورة والاولى تقديمها لانها اسم جامع لباقي الحقايق في غيرها فمما صح في ذلك ما رواه البخاري وغيره من حديث الرؤية عن ابي هريرة رضي الله عنهُ وفيه فياتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفونها فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا اتى ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعم انت ربنا فيتبعونهُ وقد ثبت ذكر الصورة في حديث ابي سعيد رضي الله عنهُ زيادة ايضاً وهو من الاحاديث المتشابهة ومرجعها الى الايات والاحاديث المحكمة وكل من له من الله نور له في مرجعها الي المحكم فهم عَلَي حسب نوره ونحن ان شاء الله تعالى نذكر مبلغ علمنا وفهمنا فيه ونسأل الله تعالي ان يهدينا لما اختلف فيه من الحق باذنه

(فاعلم) ان الصور التي ياتي فيها ربنا تعالى يوم القيامة مظهراً وحقيقة فالحقيقة هي الظلة في قوله تعالى «هل ينظرون الاَّ ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة» فعلم بذلك ان مظاهر تجليه لعباده هي ظلل غمامه وحقايق هذه الظلل آياته التي تعرَّف لخلقه فيها بواسطة انبيائه صلى الله عليهم وسلم (وقد) ثبت في الصحيح شخص حقايق آياته كالظلل ففي مسلم وغيره من حديث ابى امامة رضي الله عنهُ وحديث النواس بن سمعان رضي الله عنهُ ان القرآن يوم القيمة ياتي تقدمهُ البقرة وآل عمران كانهما غمامتان او ظلتان سوداوتان (ومن) المعلوم ان كلامهُ سبحانهُ صفتهُ وصفتهُ لا تفارقهُ فإذا ثبتَ اتيانهما في صور ظلل الغمام ثبت اتيانهُ تعالى (وفي) مسلم وغيره ان اسيد بن حضير رضي الله عنهُ قرأَ سورة الكهف ليلة فجالت فرسهُ فاذا مثل الظلة فوق راسه فيها امثال السرج فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان السكينة تنزلت للقرآن (وفي رواية) الترمذي مع القرآن (وفي رواية) تلك الملائكة كانت تسمع لك وذلك كله موافق لآية البقرة ونفرة الفرس دليل عَلَي انها ظلة محسوسة (وقد ثبت) رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم للظلة وتأويل ابي بكر لها بالاسلام وذلك كله يحقق ان حقايق الظلل هي آيات الله تعالى وشرايعهُ وهي من الروح كما قدمتهُ لك قال تعالي «وكذلك اوحينا اليك روحاً من امرنا» الاية

والظلة قسمان ظلة عذاب وظلة رحمة فظلة العذاب كظلة قوم شعيب صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى «فاخذهم عذاب يوم الظلة» وقد ضرب الله تعالى المثل بذلك بالقرآن في قوله «او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق» الآية واما ظلة الرحمة فهي آياته المقتضية للرحمة النازل غيثها على قلوب المؤمنين كما صح في صحيح مسلم والبخاري وغيره قوله صلى الله عليه وسلم ان مثلي ومثل ما بعثت به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضاً الحديث فهذا هو مظهر الحقيقة (واما) مظهر الصورة فهو العمل وقد ثبت تشخص الاعمال بصور شتى كما في حديث البراء رضي الله عنه باسناد صحيح اخرجه اصحاب المسانيد كالامام احمد وغيره ان الميت المؤمن يفسح له مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول من انت فيقول عملك الصالح وان الفاجر يمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح فيقول من انت فيقول انا عملك الحديث (وقد صح) تمثيل الموت بصورة الكبش وتمثيل المال بالشجاع الأقرع وغيره وتمثيل الملائكة صلى الله عليهم وسلم بالآدميين والسنة مشحونة بنحو ذلك (ومن) المعلوم ان الاعمال اعراض فاذا ثبت ظهورها وتمثلها بصور الجواهر والاجسام مع القطع بانها ليست جسماً ولا جوهراً فان الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم ليسوا بادميين فعلى مثل ذلك قس اتيان ربنا سبحانه في صور الاعمال وانه يلزم من اتيانه في صور الاعمال ان يكون تعالى له صورة ولا يلزم من نسبتها واضافتها اليه ان تكون ذاتية له كما قد ثبت نسبة اليدين والرجلين الى جبريل عليه السلام في حديث عمر رضي الله عنه عند مسلم وغيره في قوله طلع علينا رجل شديد بياض الثياب الى قوله فاسند ركبتيه الحديث (ومن) المعلوم ان الركبتين واليدين التي جاء بها جبريل صلوات الله عليه وسلامه جسمانيات وليست ذاتية له وبهذا يعلم رؤية العباد لربهم تعالى يوم القيامة مختلفة النعيم فكل يراه في صورة عمله على حسب مراقبته واخلاص توجهه اليه وصدقه في اقباله عليه (تنبيه) اذا علمت ان حقيقة الصورة اياته التي تعرف بها الى خلقه فنزل على ذلك ما صح من ان الله تعالى خلق آدم صلى الله عليه وسلم على صورته فان الانسان قد جمع الله تعالى فيه

كل حقايق الكائنات فكان مظهراً لآيته الكبرى الجامعة لجميع حقايق الايات المتجلية لخلقهِ بجميع انوار الاسماء والصفات فلذلك قبل تعليم الاسماء وسجدت له ملائكة الارض والسماء اي خالقه عَلَي المثالية القابلة لتجلي صورة آيته الكبرى وهي التي اريها محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وحقيقتها روح لا اله الا الله

(تنبيه) قد جاء في الجامع لابي عيسى الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة سوقًا ما فيها لا بيع ولا شراء الا الصور من الرجال والنساء فإذا اراد الرجل صورة دخل فيها

(قال) الترمذي حديث غريب واذا نزلته عَلَي ما قدَّرناه علمت ان تلك الصور حقائق اياتٍ من ايات اسمائهِ وصفاتهِ تعالى واخلاقهِ فما من آيةٍ منها تخلق بهـا العبد في الدنيا الا وقد تعرف الله تعالى اليهِ بها فاذا دخل الجنة ورآها في سوق المعرفة عرفهـا فدخل فيهـا فكانت زيادةً في معرفته بربهِ سبحانه وتجليه له فيها بنعيم رؤيته

(فان) قلت فما معنى قوله الا الصور من الرجال والنساء ومامناسبة الرجال والنساء بصور الصفات والاسماء

(قلت) ما من آية يتخلق بها عبد الا وقد أشتقها الله تعالى من اسمه الرحمن الرحيم الايمانية وانتقلت اليهِ ارثـًا من الاب الايماني او ام ايمانية النبيُّ أَولي بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فلعلَّ هذا معنى قوله من الرجال والنساء

(فصل) ومنها صفة الوجه وقد جاء ذكره في آياتٍ كثيرة فاذا اردت ان تعلم حقيقته ومظهره من الصورة فاعلم ان حقيقته من غمام الشريعة بأرث نور التوحيد ومظهره من العمل وجه الاخلاص فأَقم وجهك للدين الاية ويدل عَلَي ان وجهه تعالى الاخلاص مظهر قوله تعالى «يريدون وجهه» وقوله تعالى «انما نطعمكم لوجه الله» وقوله تعالى «الاَّ ابتغاء وجه ربه الأَعلى» والمراد في ذلك كله الثناء بالاخلاص عَلَي اهله تعبيراً بارادة الوجه عن اخلاص النية وتنبيهاً عَلَي انهُ مظهر وجهه سبحانه يدل عَلَي ان حقيقة الوجه هو بارق نور التوحيد لقوله تعالى «ولا تدع مع الله الهًا آخر لا اله الا هو كل شيءٍ هالك الا وجهه» اي الا نور توحيده وهو نور السموات والارض

بدليل قوله صلى الله عليهِ وسلم اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت بهِ الظلمات وصلح عليهِ امر الدنيا والاخرة وبهذا يفهم سر قوله تعالى «فاينما تولوا فثمّ وجه الله»

(تنبيه) قوله صلي الله عليهِ وسلم في حديث الرؤية فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفون اي في ظلة آيات العذاب ومظهر الاعمال السيئة فيقولون نعوذ بالله منك اي فيستعيذون بالله من تلك الصورة كما كانوا في الدنيا ينكرونها ويستعيذون منها قوله فياتيهم في الصورة التي يعرفون اي في مظهر اعمال البر وظلة صفة الرحمة والنبوة التي كانت تحيي قلوبهم بغيث الهدى والعلم فيقولون انت ربنا يعرفونهُ بواسطة تعرفه لهم في الدنيا تحقيقاً لقوله صلى الله عليهِ وسلم اهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة

(فصل) ومنها صفة الرؤية وقد جاء في غير ما آية وفي احاديث منها في هذا الحديث قوله صلى الله عليهِ وسلم هل تمارون في رؤية القمر وفي رؤية الشمس واذا ثبت تجليه تعالى في صورة روح الشريعة لم يبق في رؤيته اشكال وانما عبر بالوجه والقمر عن حقيقة الوجه وهو نور التوحيد واختلاف الروايتين يجوز ان يكون تنبيهاً عَلَي اختلاف درجة الرؤيتين في نعيم الرؤية ويجوز ان يكون باعتبار الرؤية في البرزخ والاخرة فان البرزخ في وجوده كالليل وآيته القمر والاخرة كالنهار وآيته الشمس قوله ليس دونها سحاب فيه تربية لاهل المراقبة وذلك لان غالب اهل المراقبة لا يشهدون بقلوبهم عند العبادة المراقبة الاظلل آيات الشريعة ويحجبون بسحابها عن شهود وجه ربهم تعالي وهو نور توحيده فاذا كان يوم القيامة كشف الغطاء واحتدّ البصر فيرون وجه ربهم سبحانه كشمس لا دونها سحاب الاعمال ولا ظلل غمام الشرايع بل هو اقرب اليهم من اعمالهم ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الاية (تنبيه) قد انكر القاضي ابو بكر بن العربي في الاحوذي ثبوت الرؤية في الموقف وقال ان نعيم الرؤية لا يكون الا للمؤمنين في الجنة واما ما جاء من الرؤية في الموقف انما هو عَلَي سبيل الامتحان والاختبار والذي نعتقده ثبوت الرؤية ونعيمها للمؤمنين في الموقف عَلَي ما صحّ في الحديث وذلك صريح في قوله تعالي (وجوهٌ يومئذٍ ناضرة)

(تنبيه) لوجه ربنا سبحانه رداءٌ وله حجب وله سبحات فاما رداؤه سبحانهُ فقد نبه عليهِ قوله صلى الله عليهِ وسلم في حديث عبد الله بن قيس عن ابيه رضى الله عنهما جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وما بين القوم و بين ان ينظروا الي ربهم الارداء الكبرياء عَلَى وجههِ في جنة عدن فالرداء ههنا والله اعلم هو ما يحجب القلب عن رؤية الرب سبحانهُ وهو ان يكون في قلبك كبرياء لغيره فاهل الجنة ليس لهم مانع من نعيم الرؤية وشهود نور التوحيد الارداء الكبرياء فمن كبر في قلبه غير الله تعالى من غرفٍ اوتحفٍ او حورٍ اومأ كولٍ او مشروبٍ اوشيءٍ سواه حجب عن الله تعالي ومن عرف الله صغر عنده كل شيءٍ فارتفع عن بصره رداء الكبرياء لكل شيءٍ فشهد الله في كل شيء وبهذا يظهر لك سر افتتاح الصلاة بالتكبير لان الصلاة حضرة التجلي والمناجاة والمراقبة لانوار سبحات وجهه سبحانه

(اشارة) صحَّ في الحديث الصحيح ان غراس الجنة سبحان الله والحمد لله وفي الحديث اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قيل حلق الذكر وفي ذلك اشارة الى ان نعيم الرؤية يحصل لارباب القلوب في رياض جنة الاذكار وعند المراقبة وارتفاع رداء الكبرياء عن وجه التوحيد

(واما) حجبه فقد ثبت في الصحيح حجابه النور وفي روايةٍ حجابه النار وليس بين الروايتين تناف ولك في تاويله سبيلان

(احدهما) ان وجهه سبحانه هو الباقي ذو الجلال والاكرام فله تجل بجلاله في حجاب النار كما تجلى سبحانه لموسى صلى الله عليهِ وسلم حين آنس من جانب الطور ناراً وله تجل باكرامه في حجاب النور كما تجلي تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء في قوله صلي الله عليه وسلم رايت نوراً وهذان الحجابان لاهل الخصوص

(التأويل) الثاني وهو لارباب العموم يؤخذ مما قررناه انهُ لا فاعل في الكون غيره ولا هادي ولا مضل سواه يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون فوجه توحيده هو الذي ينعم ويهدي باقباله ويعذب ويضل بأعراضه وله في هدايته النور وهويته المتجلية للقلوب بواسطة شرايع رسله قال تعالى «قد جاكم

من الله نور وكتاب مبين يهدي بهِ الله من اتبع رضوانه سبل السلام» وحجابه في اضلاله النار وهو الاكساب المغشي للقلوب من وساوس الشيطان المخلوق من النار كلاَّ بل ران عَلَى قلوبهم ما كانوا يكسبون كلاَّ انهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون قد بين بذلك ان وجه توحيده هو الهادي باقباله في حجاب نور الاتباع للرسل فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وانه هو المضل باعراضه في حجاب الاتباع لوسواس الشيطان فانهُ لا تنافي بين قوله حجابه النور و بين قوله حجابهُ النار وبذلك يفهم سر قوله صلى الله عليهِ وسلم اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً الى قوله واجعلني نوراً اي اجعلني من جميع الوجوه نوراً دالاً وحجاباً يتنعم برؤيتي من اراد التنعم بحسن النظر اليك

(تنبيه) جاءَ في الصحيح ان لله سبعين حجاباً من نورٍ وذلك لاتنافي بينهو بين قوله حجابه النور لانه جنس يصلح لشمول الافراد وان تعددت والحق ان حجب انواره تعالى لا حصر لها لانه ما من شيءٍ الا وهو حجاب من وجه ربنا وآية من آيات وحدانيته

وفي كل شيء له آية تدل عَلَى انه واحد

وبمثل ذلك يفهم قوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية وقوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) و بذلك يعرف ان عدد السبعين ليس للحصر

(قال) الازهري وغيره من علماء اللغة العرب تضع السبع موضع التضعيف وان جاوز السبع واصله قوله تعالى (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل) الآية واصل اعتبار هذا العدد في تضعيف حجبه ان لله تعالى صفات ذاتية وهي العلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فهذه سبع صفاتٍ ذاتيةٍ يتجلى سبحانه في حجب انوارها بوجه توحيده فكانت هي مبدأ التضعيف في حجب انواره تعالى ثم لأعداد التضعيف ثلاث رتب رتبة العشرة ورتبة المئة ورتبة الألف وآيات صفاته في تجلياتها تتضاعف بكل رتبةٍ في دايرةٍ من دواير ملكه فان تضاعفت برتبة العشرة كانت سبعين وان

تضاعفت برتبة المئة كانت سبع مئة وان تضاعفت برتبة الألف كانت نهاية الكثرة وقد نبه صلى الله عليه وسلم علي الثلاثة بقوله من همَّ بحسنةٍ فعملها كتبها الله عنده عشر حسناتٍ الي سبعمائة ضعف الي اضعافٍ كثيرةٍ ووراء ذلك اسرارٌ يمنحها الله تعالي لمن يشاء من عباده

(تبصرة) واما سبحات وجهه سبحانه فقد ثبت في الصحيح لو كشفه لا حرقت سبحات وجههِ ما انتهى اليهِ بصرهُ من خلقهِ وقد اوَّلها العلماء رضى الله عنهم بجلاله تعالي وهو تأويل صحيح لكن وجه ربنا ذي الجلال والاكرام له بجلاله سبحات وله باكرامهِ سبحات واذا اردت ان تجري في التأويل علي وفق الاستعمال اللغوي والقواعد التي مهدناها فاعلم ان السبحات جمع سبحةٍ والسبحة في اللغة مايتطوَّع به من ذكرٍ وصلاةٍ وتسبيحٍ ونحوها مما لا يحصر افراده وقد ثبت ان انوار الطاعات حجب وجهه سبحانه ونور الذكر شامل لجميعها ومهيمن علي ساير سبحات الاكرام والجلال وقد قال تعالى فاذكروني اذكركم فذكر الله تعالي لنفسه ولعبده سبحة وجهه شاملة لانواع سبحاته وذكر العبد له نور حجابه فما دام العبد يشهد ذكره لربهِ فوجه ربه متجلٍّ عليه في حجابه بسبحة ذكره كما ثبت في الصحيح انا عند ظنّ عبدي بي وانا معهُ حين يذكرني ولا يزال العبد يذكر الله وذكره له يبعده من شهود نفسه ونسبتها ويقرّبهُ من شهود توحيده ربه حتى ينكشف حجاب ذكره لله تعالي وتجلى له سبحة ذكر الله لهُ هناك تحرق سبحتهُ نِسبَ الافعال والاذكار للعبد وتظهر نسبتها للرب كما ثبت في الصحيح ولا يزال عبدي يتقرَّب اليَّ بالنوافل حتى احبهُ فإذا احببتهُ كنت سمعهُ الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها

(تنبيه) قولهُ لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه

(اعلم) ان بصره سبحانهُ لا يتناهى مبصوراته ولا يحجبهُ عن خلقه حجاب وانما ينكشف لك معنى الحديث لمراجعة ما قرّرتهُ لك وبقوله صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانهُ يراك فنبه بالشرط علي ان العبد لا يشهد رؤية الله له حتى يغيب عن صفته ورؤيته ومراقبته لربه فكل

عبادةٍ تصحبها المراقبة فهي نور من حجب وجهه ينظر العبد منهُ الى ربه تعالى وينظر الله منهُ الي عبده فاذا كشف للعبد فيها حجاب المراقبة شهد رؤية الله سبحانهُ لهُ فانتهاء بصره عبارة عن انتهائه بحسب كشف العبد وشهوده لا بحسبه في نفسه فانهُ لا انتهاء له وخلقهُ هو صفة العبد ورؤيتهُ واحراقهُ هو محوه بثبوت صفةِ الربّ ورؤيتهُ للعبد وصفة الرب ورؤيتهُ هي سبحة (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

(اشارة) اورد محمد بن علي الاصفهاني عن مجنون ليلى في محاومة هذا المعنى بيتين وهما

راي ليلى فاعرض عن سواها محبٌ لا يرى حسناً سواها
لقد ظفرت يداه ونال ملكاً لئن كانت تراه كما يراها

(فنبه) عَلَى ان الملك والظفر ليسا في رؤيته هو لها وانما هما في رؤيتها له وقوله كما يراها فيهِ تنبيه عَلَى تجلي السبحة وذلك انهُ رأى ليلى عَلَى وجه الافراد فلم ير معها غيرها ولهذا قال فاعرض عن سواها حتى عن نفسهِ ولهذا قال انا ليلى وليلى انا (فنبه عَلَى ان الملك ان تراه كذلك فلا يراه غيرها وهذا فيما نحن فيهِ لا يتم الاَّ بتجلي السبحة المقدسة فانها اذا تجلت احرقت الحادث من صفة العبد وتبقى صفة الرب تعالى هي المرئية لهُ كما انها هي المرئية لعبده فهنالك تظفر يداه وينال ملك التصريف بقوله كنت سمعهُ الحديث

(اشارة) بهذا يفهم سر امر الله سبحانه لنبيهِ صلى الله عليهِ وسلم ان يقرأ عَلَى ابيّ بن كعبٍ رضى الله عنهُ لم يكن مع قوله صلي الله عليهِ وسلم اقرأكم ابيّ مع العلم بان ابيًا لم يكن احفظ الصحابة للقرآن ولا افصحهم في القراة ولا افقههم في احكامهِ ولكن لعله كان عند قراءة القرآن اصغا هم مراقبةً لتلاوة النبي صلى الله عليهِ وسلم كذلك الذي يقرأه ويغيب بذلك عن قرأة نفسهِ حتى كانهُ يسمعهُ من النبيّ صلى الله عليهِ وسلم ومما يدل عَلَي ذلك ويوضحهُ لك ان السورة التي امر بقراءتها هي لم يكن الذين كفروا وهي مشتملة عَلَي قوله تعالي (حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة فيها كتب قيمة) وكان ابيّ رضي الله عنهُ اذا قراها اصغى باذن

قلبهِ الى روح النبوة يتلو عليهِ ذلك فاراد الله تعالى ان يحقق له في عالم الشهادة من تلاوة النبيّ صلى الله عليهِ وسلم ما كان يشهده في عالم الغيب

(لطيفة) حكمة استعارة الاحراق لمحو صفات الخلق التنبيهُ عَلَي ان حقيقة الخلق تراب وباقي صفات الخلق انما هي نور تجليات الحق بصفاتهِ فلو ظهرت صفاتهُ رجع الخلق الى اصله ترابًا كما ان النار ايّ شيءٍ احرقتهُ جعلتهُ رمادًا وازالت جميع صفاتهِ

(تربية) قد قدّمنا ان قوله تعالى (كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام)تنبيه عَلَي انّ لوجههِ الكريم تجليين تجلٍ بجلالهِ في حجاب النار وتجلٍ باكرامه في حجاب النور فيحتاج اهل المراقبة الي معرفة قبلة هذا التجلي وميقاته ومشرقه

(فاعلم) يا عبد الله ان قبلة هذا التجلي القلب وميقاتهُ الصلاة ومشرق الجلال سبحان الله ومشرق الاكرام الحمد لله فمن اراد شهود وجه ربه الباقي فليجعل قبلة قلبه وميقاته صلاته ثم لهُ حالان الاول ان يلمسب عَلَي قلبهِ تنزيههُ عما سوى الله تعالي فهذا مشرقهُ سبحان الله ووجه ربه يتجلى عليه بجلاله في حجاب النار كما تجلي عَلَي موسى صلي الله عليهِ وسلم ولهذا امر الله تعالي اتباعهُ ان يقتدوا بهِ في ذلك بقوله تعالى «واجعلوا بيوتكم قبلةً واقيموا الصلاة » فهذه القبلة والميقات

(ونبه)عَلَي تجليهِ عليه في مشرق سبحان الله في حجاب النار بقوله تعالى (فلما جاءَها نوديَ ان بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله ربّ العالمين ياموسى انهُ انا الله العزيز الحكيم)

(والحال الثاني) ان يغلبَ عَلَي قلبه شهود النعم والفضل لله بلا شريكٍ فهذا مشرقهُ الحمد لله ووجه ربه يتجلى عليه باكرامه في حجاب النور كما تجلى لابراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت قبلتهُ قلبهُ اذ جاءَ ربهُ بقلب سليم وكان ميقاتهُ صلاتهُ ومشرقهُ الحمد لله انّ ابراهيم كان امةً قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين شاكرًا لاءنعمه وكان التجلي بالاكرام في حجاب النور وهي انوار الكواكب والقمر والشمس فقال هذا ربي

(اشارة) اذا اردت ان تعلم انّ رويتهُ بالاكرام فتدبر قوله هل اتاك (حديث ضيف ابراهيم المكرمين) فاذا كان ضيفه بسببه مكرّمًا فما ظنك به فاذا اردت ان تعلم انّ منظره كان انور ربه لا للنجوم والكواكب فتدبر قوله تعالى «فنظر نظرة في النجوم» وجعل النجوم ظرفًا للمرئى لا لنفس المرئى وكيف لا وقد يرى ملكوت السموات والارض والله نور السموات والارض ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثمّ وجه الله ومن جمع بين مشرق سبحان الله والحمد لله تجلى له ربه بكماله الجامع بين التجليين واراه آيته الكبرى كما تجلى لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء

(ونبه) عليه قوله سبحانه سبحان الذي اسرى بعبده الى قوله وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً الاية ولما تحقق سبحان الله اولاً وبالحمد لله آخراً تجلى له وجه ربه بكماله الجامع للجلال والاكرام في مشرق لا اله الا الله الجامع لسبحان الله والحمد لله آية ربه الكبرى ولهذا قال اخر السورة وكبره تكبيراً وسياتي لذلك بيان في مسألة الاسراء ان شاء الله تعالى

(فصلٌ) ومن المتشابه صفة النفس في قوله تعالى « تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك » لأن النفس في اللغة تستعمل لمعانٍ كلها تتعذر في الظاهر هاهنا وقد اولها العلماء بتأويلاتٍ (منها) ان النفس عبر بها عن الذات والهوية وهذا وان كان سايغًا في اللغة ولكن تعدي الفعل اليها بواسطةِ في المفيدة للظرفيةِ محال لان الظرفيةَ يلزمها التركيب والتركيب في ذاته محال وقد اولها بعضهم بالغيب اي ولا اعلم ما في غيبك ومسرك وهذا حسنٌ لقوله « انك انت علام الغيوب » ولكن لا بدّ من تخرجه علي ما مهدناه حتى تنتظم اشتاتُ الصفات وذلك انّ الصورةَ اذا كانت ظلة غمام اياته فنفسه هي ام كتابه وهي الايات المحكمات قال تعالى « هو الذي انزل عليك الكتاب منه اياتٌ محكماتٌ هن ام الكتاب» والايات المحكمات هي الايات الدالة علي وحدانيته بدليل قوله تعالى في اول هود « كتاب احكمت اياته ثم فصلت » الاية ثم فسر احكامها بالتوحيد في قوله « ألاّ تعبدوا الا الله » وفسر تفصيلها بالاستغفار والتوبة في قوله « وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه » ونبه تعالى ان آياته المحكمة ترجع اعدادها الي آيةٍ واحدةٍ محكمةٍ وهي لا اله الا الله فما من

علمٍ من العلوم في الغيب ولا في الشهادة الا وهو منتظمٌ في سلك لا اله الا الله مستثمر من ثمار اسرارها ولهذا اكتفي بعلمها النبي صلى الله عليه وسلم إجمالاً وتفصيلاً في قوله تعالى « فاعلم انهُ لا اله الا الله واستغفر لذنبك »

(تنبيهٌ) قوله تعالى « تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك » اذا اخرجتهُ عَلَي هذا تطلع عَلَي اسرارٍ بديعةٍ وذلك ان السياق اشتمل عَلَي سؤال عيسى عليه السلام عما بلغه لبني اسرائيل هل امرهم بتوحيد ربهم او بأن يعبدوا له ولأمه

(ومن المعلوم) انه لم يكن امرهم الا بالتوحيد فلما أراد ان يخبر بذلك تلطف في الاخبار بهِ اجمالاً وتفصيلاً أما تفصيلاً فبقوله « ما قلت لهم الا ما امرتني بهِ » الاية واما اجمالاً فبقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فقوله ولا أعلم ما في نفسك اي ام كتابك المشتمل عَلَي سر قدرك وان القلم جرى فيهِ بكفرهم وقوله تعلم ما في نفسي أي في أمّ كتابي وهو ما كتبه الله له من بينات التوحيد وأيدهُ بهِ من روح القدس قال تعالى « وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس »

(تبصرة) شأن المحجوبين عن الله تعالى من أرباب الرياسة موادعة من عبدهم وعبد اقاربهم لأجلهم وأهل القلوب المؤمنة يبرؤون من ذلك بمقتضى قوله تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسولهُ الى قوله أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروحٍ منه »

(ومن المعلوم) ان عيسى صلى الله عليه وسلم كتب في قلبه الايمان وايد بالروح فلهذا قال تعلم ما في نفسي اي ما كتبته من الايمان في قلبي وايدتني به من الروح وان ذلك ثمرة كوني لم أوادد هؤلاء الذين عبدوني وعبدوا امي من دونك وانت علام الغيوب

(تنبيه) قوله امرتني بهِ ولم يقل بهِ امرت مع ان الامر بالتوحيد لم يختص بهِ بل امر بهِ جميع الأنبياء ولكنه بذلك عَلَي سر القدر وان الامر أمران أمر حقيقة وامر شريعة فامر الحقيقة هو المشار اليه بقوله (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وهو متوجهٌ الى جميع الكائنات فما من كفرٍ ولا ايمانٍ الا وهو مأمورٌ به بهذا الاعتبار لانه لا يكون الا بامره

(واما الشريعة) فهو الذي ربط به الثواب والعقاب وقامت به الحجة (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) فمن هذا يفهم السر في قوله لعيسى عليه السلام امرتني به خصصه بالاضافة اليه تنبيهاً عَلَي امر الشريعة ولم يقل امرت تنبيهاً عَلَي امر الحقيقة

(اشارة) لما كان في هذا اشتباه عَلَي المحجوبين من المعتزلة وغيرهم الذين يقولون ان كفر العبد منسوب الي اختراعه غير مستند الى ارادة ربه سبحانه والا لما جاز له ان يعاقبه عليه لاجرم بين الله تعالى جوابهم عَلَي لسان نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم في قوله (ان تعذبهم فانهم عبادك) علل جواز تعذيبه لهم بانهم عباده تنبيهاً عَلَي ان التعذيب لايحتاج في جوازه عقلا الى معصية ولا كفر ولهذا لم يقل فانهم عصوك وانما مجرد كونهم عباداً يجوز للمالك ان يفعل بهم ما يشاء حتى وليس عليه حق ومهما قال فالحسن الجميل

(مناجاة) الهي جلت عظمتك ان يعصيك عاص او ينساك ناس ولكن اوجبت روح اوامرك في اسرار الكائنات فذكرك الناسي بنسيانه واطاعك العاصي بعصيانه وان من شيء الا يسبح بحمده ان عصى داعي ايمانه فقد اطاع داعي سلطانك ولكن قامت عليه حجتك فلله الحجة البالغة (لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون)

(اعتبار) قوله (ويحذركم الله نفسه) من هذا اي ويحذركم ام كتابه بدليل قوله اول الآية (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء) الآية مع قوله تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين) الآية مع ماثبت في صحيح مسلم وغيره من قوله صلى الله عليه وسلم فوالذي لااله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها الا ذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهلَ النار فيدخلها الحديث فهذا تحذير من ام الكتاب الذي يكون خاتمة العبد عَلَي وفق ماسبق له فيه وبهذا يفهم السر في ذكر النفس وام الكتاب متقاربين في اول السورة

(اشارة) في الحديث ان خشية سوء الخاتمة مخصوص باعمال اهل الجنة

واما اهل الاخلاص لاعمال التوحيد فلا يخشى عليهم سوء الخاتمة ولهذا قال ليعمل بعمل اهل الجنة حتى مايكون بينه و بينها فافهم بذلك ان المتقرب متقرب بان متقرب الى الجنة باعمالها ومتقرب الى الله بذكره كما ثبت في الصحيح انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني الى قوله ان تقرب الي ذراعاً تقربت منه باعاً وذلك يفهم ان المتقرب الى الله تعالى لايمكن ان يبقى بينه و بينه ذراع لان ذلك الذراع ان كان المتقرب به مطلوباً من العبد لم يبق بعده مقدار يتقرب الله به اليه وحينئذٍ فيستلزم الخلق في وعده وهو محال وان كان موعوداً به من الله لزم تنجز وعده وتحقق القرب للعبد فلا يبقي بعد ولا دخول في النار فعلم ان ذلك الذراع مخصوص باهل التقريب الى الجنة التي لا يلزم ان تقرب ممن تقرب اليها فافهمه فانه بديع

(تتمة) قوله في الحديث فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي اذا اردت تخرجه عَلَى ماتقدم فمعناه ان العبد اذا ذكر الله في سره فذكره له من آيات توحيده المتشابهة فلا يزال يذكر و يشهد ذكر نفسه حتى ينكشف حجابه كما قدمنا وسيأتي في حجب الوجه وسبحاته فهنالك يحترق ذكر العبد المخلوق ويتجلى ذكر الله لعبده سبحانه فيصير العبد مذكوراً والعبد ذاكراً وذلك من آيات التوحيد المحكمة وهي امُّ الكتاب فلهذا عبر عنها بالنفس ونسبت اليه سبحانه بقوله ذكرته في نفسي

(قوله) وان ذكرني في ملآء ذكرته في ملاءٍ خير منه هذا من آيات الترقي من حال الجمع والفناء الى حال الفرق والبقاء وذلك ان العبد اذا جمعه الله عليه بذكره في نفسه وحده افناهُ فاذا اراد ان يجعله هادياً بعثه لذكر الله في الملآء فذلك ابقاؤُه فاذا ذكره الله في ملاء خير منه ومعناه والله اعلم انه يذكره و يثني عليه بألسنة ملائكته واوليائه وامداح انبيائه ورسله و يشهده ان الله هو الذاكر له من مظهر ذكره فيتنعم بذلك نعيماً دائماً ويحيى حياةً طيبة و يكون له به حظ من المقام المحمود

(فصلٌ) ومنها صفة القرب في قوله تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب) وقوله (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ونحوه يفهمك ان قوله وان تقرب

الى شبراً تقربت منهُ ذراعاً ليس عَلَي ظاهره لان قربهُ سبحانهُ من العبد بنوره ولا تتفاوت درجاته وانما البعد صفة العبد و بعده عن الله هو حجابه عن شهود قرب الله منه عَلَي حسب نور الايمان والاستجابة و بهذا يكون تقرب العبد الي ربه واما تقرب الرب الي العبد فاشارة بنوره لنوره وقد جمع الله ذلك كله في قوله «فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون »

(تنبيه) قوله« ونحن اقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون » يدل عَلَي ان قربه سبحانه من عبده قربٌ حقيقي مع تعاليه عن المكان لانه لو كان القرب يراد به قربه بعلمه او قدرته وصفاته لقال ولكن لاتعلمون ونحوه فقوله ولكن لاتبصرون يدل عَلَي الحقيقي المدرك بالبصر والبصر لاتعلق لادراكه بالصفات المعنوية وانما يتعلق بالحقائق المرئية وكذا قوله « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » يدل عَلَي ذلك لان افعل ممن يدل عَلَي الاشتراك في القرب ولا اشتراك بين قرب الصفات وقرب حبل الوريد وعَلَي هذا فالقرب حقيقيٌ روحانيٌ بدليل قوله » فاما ان كان من المقربين » اي من الذين يكشف لهم عن نعيم القرب الرباني فروحٌ وريحانٌ وجنة نعيم فجعل قربهم ووجدانهم للروح والريحان وقد قرئ بضم الراء وفتحها وقد تقدم في حقيقة الرؤية مايكشف عن معنى الادراك للقرب

(تبصرة)حكمة مجيء التفصيل لقربه عَلَي حبل الوريد انه تقدم ذكر الوساوس ووسواس النفس من القاء الشيطان ومجراه للاوردة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ومجرى الدم هو عروق الاوردة ونحوها فنبه بقوله « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد» عَلَي انه اقرب اليه من مجرى الوساوس وقد قلت في ذلك

تشاغل عنا بوسواسه   وكان قديمًا لنا يطلب
محب تناسي عهود الهوى   واصبح في غيرنا يرغب
ونحن نراه ونملي له   ويحسبنا اننا غيب
ونحن الى العبد من نفسه   ووسواس شيطانه اقرب

(فصلٌ) ومن الايات المتشابهة آيات السمع والبصر والعين والاعين وقد دل

الكتاب والسنة عَلَي انهما قسمان عادي وحقيقي فالعادي سمع القلب بالاذن وابصاره بالعين وهو عام في المؤمن والكافر والحقيقي بصر العين بالقلب وسمع الاذن به وقد نفاه الله تعالي عن الكافر في غير ما اية

(منها) قوله تعالى « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون » وفي قوله تعالي « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون » فاثبت لهم السمع والبصر العاديين ونفى عنهم الحقيقي

(وبهذا) يفهم قوله تعالي (ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً) مع العلم بان الله تعالى يعيدهم بابصارهم العادية كحالهم في الدنيا تحقيقاً لقوله تعالى (كما بدأنا اول خلقٍ نعيده)ولكن الحكم في تلك الدار للابصار الحقيقية المستفادة من نور صفاته بواسطة استجابة القلب لاياته وتوجهه لنورها الي عالم الغيب وقلب الكافر في الدنيا كان خالياً من نور التوحيد فكان بصره لا يرجع الي قلبه لانه لامدد له الا من حسه وهو اعمى عن نور ايات التوحيد لاجرم انه يحشر يوم القيامة اعمى كما كان في الدنيا لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم فكذلك اذا قال لم حشرتني اعمى قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي لابصر في هذه الدار الا من نور صفاتي المستفاد من الاستجابة لاياتي ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور فاذا صح لك ان السمع الحقيقي والبصر الحقيقي عبارة عن سمع القلب وبصره وان الجوارح وهي العين والاذن تحتاج اليه وهو غني عنها امكنك حينئذٍ ان تفهم اثبات السمع والبصر لله تعالي وكذا بقية الادراك مع استغنائه في ذلك عن الجوارح وتعاليه عنها

(واما) نسبة العين اليه سبحانه فهي اسم لآياته المبصرة فنسب البصر للآيات عَلَي سبيل المجاز تحقيقاً لانها المراد بالعين المنسوبة اليه وقال تعالى «قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها »وعَلَي هذا ينزل قوله تعالى (واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) اي بآياتنا تنظر بها الينا وننظر بها اليك ويؤيد ان المراد بالاعين هنا الايات كونه علل بها للصبر لحكم ربه وعلله بايات القرآن صريحاً في قوله تعالي (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك)

(قال تعالى) في سفينة نوح صلى الله عليه وسلم تجري باعيننا اي بآياتنا بدليل قوله تعالى وقال (اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها) وقال تعالى في موسى صلى الله عليه وسلم ولتصنع عَلَي عيني اي عَلَي حكم آيتي التي اوحيتها الى امك(ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولاتخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين) ويؤيد ان المراد ذلك كونه جعل ظرف صنعه عَلَي عينه اذ تمشي اختك فتقول هل ادلكم عَلَي من يكفله فرجعناك الي امك كي تقرَّ عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق فمن تأملَ ذلك علم صحة ماقلناه وفتح له باب عظيمٌ في تفسير كلام الله بعضه ببعض

(فصلٌ) من صفاته بطشهُ سبحانه قال تعالى (انَّ بطش ربك لشديدانهُ هو يبديءُ ويعيد) ولا تشابه فيه لان الآية الثانية تفسيرٌ للاولى ولذلك جاءَ بها عَلَي وجه البدل من غير عطف تنبيهًا عَلَي ان بطشهُ عبارةٌ عن تصرفهِ في بدئهِ واعادتهِ وما من شيءٍ من الكائنات جواهرها واعراضها الا وهي مفتقرة الى بدئهِ واعادته فبطشهِ سبحانهُ اسمٌ شاملٌ لجميع تصرفاتهِ فيمخلوقاتهِ بداءً واعادةً

(صلٌ) نسبة الايدي اليه استعارة لحقايق انوار علوية يظهر عنها تصرفهُ وبطشه بداءً واعادةً وتلك الانوار متفاوتة في روح القرب وعَلَي حسب تفاوتها وسعة دوائرها تكون رتبة التخصيص لما ظهر عنها الا ترى قوله تعالى في حق آدم صلى الله عليه وسلم لما خلقت بيدي كيف يستفاد منهُ تنويه به وتشريفٌ وتكريمٌ وتخصيصٌ ولا يستفاد ذلك من قوله تعالى (اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعامًا) وما ذلك الا لان حقائق انوار الايدي الخالقة للانعام ليست في روح القلب كحقائق اليدين اللتين خلق بهما آدم صلى الله عليه وسلم

(فان) قلت فما حقيقة اليدين اللتين في خلق آدم صلى الله عليه وسلم قلت الله اعلم ماأراد ولكن الذي استثمرته من تدبر كتابه ان اليدين استعارة لنور قدرته القايم بصفة فضله ولنورها القايم بصفة عدله ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح يمين ربي ملاء سخاء لايغيضها الليل والنهار ارأيتم ما انفق منذ خلق السموات فأنه لم يغض ما في يمينه وعرشه عَلَي الماءَ وبيده الاخرى الميزان يرفع

ويخفض

(فنبه) عَلَي تولي الفضل بيمينه السخاء المنفقة وعَلَي نور العدل باليد الاخرى صاحبة الميزان

(ونبه) تعالى بقوله في آدم صلى الله عليه وسلم لما خلقت بيدي عَلَي تخصيصه له وتكريمهُ اياه بان جمع له في خلقهِ بين فضلهِ وعدلهِ بمقتضى قوله تعالى (فاذا سويتهُ ونفخت فيهِ من روحي) فتسويتهُ من عدلهِ ونفخ روحه من فضله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

(ومما) يحقق لك ان اليد استعارة لنوره سبحانهُ قولهُ (وانه لكتابٌ عزيز لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفهِ) فاستعار اليدين للقرآن ثم نبه عَلَي انهُ استعارهما لما اشتمل عليهِ من نور الفضل ونور العدل بقولهِ تعالى (تنزيلٌ من حكيم حميد) فالحكيم صاحب نور العدل والحميد صاحب نور الفضل

(ونبه) بجمع الايدي في خلق الانعام عَلَي ان اليد المنسوبة اليه ليست جارحةً والالم تزد عَلَي يدين لان افضل المخلوقات في الشاهد محمدٌ صلى الله عليه وسلم وهو لا يزيد عَلَي يدين

(وفي الحديث) الحجر الاسود يمين الله في الارض وذلك يفهم انهُ لهُ يميناً سماويةً نسبتها لاهل السماء كنسبة الحجر الاسود لاهل الارض

(تنبيه) في الصحيح للبخاري وغيره في ذلك احاديث منها حديث عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال جاء حبر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا محمد انا نجد ان الله يجعل السموات عَلَي اصبع والماء عَلَي اصبعٍ والارضين عَلَي اصبع والشجر عَلَي اصبعٍ وسائر الخلائق عَلَي اصبعٍ ويقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره) الآية

(قلت) هذا الحديث شديد الاشتباه عند علماء الظاهر وهو محمول عند بعضهم عَلَي ان اليهود مشبهة ويزعمون فيما انزل اليهم الفاظاً تدخل في التشبيه ليس القول بها من مذاهب المسلمين

(وبهذا) قال الخطابي وقال انهُ روى هذا الحديث غير واحد عن عبد الله من طريق عبيدة فلم يذكروا قولهُ تصديقاً لقول الحبر ولعله ظنٌّ وسهوٌ لان ضحكه صلى الله عليه وسلم يحتمل انهُ لتعجبه من كذب اليهود ويحتمل انهُ لتعجبهُ من صدقهم

(وقد روى) البخاري في اثر هذا الحديث عن ابي هريرة رضى الله عنه قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينهِ ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض قال الخطابي فهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم ولفظه وهو عَلَي وفق قوله تعالي (وما قدروا الله حق قدره) الاية وليس فيه ذكر الاصابع ولا تقسيم الخليقة

(وقد رواه) الترمذي عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال مرَّ اليهودي فقال كيف تقول ياابا القاسم اذا وضع الله السموات عَلَي ذه والارضين عَلَي ذه والماء عَلَي ذه والجبال عَلَي ذه وسائر الخلق عَلَي ذه واشار محمد بن الصلت بخنصره اولاً ثم بلغ الى الابهام فانزل الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره)

(فهذا) يدلك عَلَي ان ذكر الاصابع وايهام التشبيه انما جآء من لفظ اليهودي وزاد في هذه الرواية الاشارة الي اصابع الجارحة وان الله تعالى انزل تشبيه قوله (وما قدروا الله حق قدره) وظاهره انهُ انزلها للرد عليه وان الله تعالى منزه عن ذلك وعَلَي الجملة فقد جآء ذكر الانامل في حديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة ربي في احسن صورة قال احسبه في المنام قال يامحمد هل تدري فيم يختصم الملاء الاعلا قال قلت لاقال فوضع يده بين كتفيَّ حتى وجدت بردها بين ثديي وفي رواية معاذ فرأيته وضع يده بين كتفيَّ فوجدت برد انامله بين ثديي فتجلى لي كل شيءٍ وعرفت

(وانت) اذا جمعت بين هذه الاحاديث تحققت عدم ارادة الجارحة لانهُ يستحيل ان تكون كل اصبع من يد واحدةٍ جسمانية تسع السموات والارضين والجبال ونحو ذلك وهي مع هذا العظم تجتمع اناملها بين كتفيه صلى الله عليه وسلم حتى يجد بردها بين ثديه وانما المعوَّل عليه في ذلك ان نخرجه عَلَي مانبهنا عليه وهو

ان اليد لحقيقة نور قدرته القائم بالعدل في امساك مخلوقاته وتدبير ملكه وهي من عالم الامر الموصوف بصفة القيومية ويدل على كونها من عالم الامر قوله تعالى (ومن آياته انْ تقوم السماء والارض بامره) وعلى انها من نور قدرتهِ الموصوف بالقيومية مناسبة الاشتقاق وكونها قرب حصول العلم بوضعها بين كتفيهِ صلى الله عليهِ وسلم حتى علم ما في السموات والارض وعلم كل شيء وهذا العلم هو علم التوحيد الذي هو اصل العلوم كلها وقد جعل الله تعالى شهوده لاهله مقيداً بحال شهود قيوميته قال تعالى (شهد الله انهُ لااله الاهو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط) فنصب قائماً على الحال والعامل فيهِ شهد والحال ظرف العامل ولا يصدق كونهم اولي العلم بشهود التوحيد الا في حال شهود قيوميتهِ فاذا اوّلنا اليد بنورِ القيومية علمت ان الحديث في معناه جاء موافقاً للقرآن وهو يرجع الى ما ذكرناه في تأويل اليد صاحبة الميزان التي تقدم ذكرها في الحديث ويؤيد كونها صاحبة العدل ان السياق الذي ذُكر فيه وما قدروا الله حق قدره الى آخر سياق قيامه تعالى بوم فصل القضاء والعدل

فان قيل فقد سمّاها باليمين في قوله تعالى (والسموات مطويات بيمينهِ) واليمين هي صاحبة الفضل المنفقة كما تقدم

قلت لا تنافي في ذلك لان كلتا يديه تعالى يمين

تنبيه قوله مطويات بيمينهِ واشبه شيء ذكره المفسرون في معنى الطي انهُ بمعنى الاخفاء اي والسموات قد خفيت حقايقها بيمينهِ في نور تجليها فليس لاهل الموقف منها الا نورها ويؤيده قوله تعالى (واشرقت الارض بنور ربها) فلاسماء لاهل الموقف الا حجاب نوره ولا ظل الا ظل عرشه والطي على هذا موافق لمعنى الكشط في قوله (واذا السماء كشطت) اي كسفت وخفيت تحت اشعة انوار يمينهِ

واما استعارة الانامل والاصابع لها فاعلم ان حقيقة ذلك ترجع الى انهُ ما من نور من انواره تعالى الا وله حجاب صوري يتعرف الى عباده بواسطتهِ بدليل قوله تعالى (الله نور السموات والارض) الاية فضرب المشكاة والزجاجة والشجرة

أمثلة لحجب انواره الصورية وقد قدمنا عند ذكر الصورة ما يفهم به معنى قوله صلى الله عليه وسلم فاتاني ربي في احسن صورة وان الصورة التي تجلى لنبيه فيها بنور يده العليا هي صاحبة الانامل وهي ظل شريعته السمحة التي هي احسن الشرائع وحقائق صفاتها كلها متنوعة من روح لااله الاالله فيدها العليا هي صاحبة الخير في قوله تعالى (بيدك الخير) وفي قوله تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير) وانامليها الخمس هي الخمس التي بني الاسلام عليها ومنها انملة الشهادة وبهذا يفهم السر في وضعها بين كتفيه وهو موضع خاتم النبوة وفي اثمارها للعلم بكل شيء لان جميع العلوم فروع بعلم لا اله الا الله ويفهم السر في وجوده لبردها بين ثدييه وهو صدره لانشراحه للاسلام فهو على نور من ربه وعلى برد الرضى والتسليم للقضاء ولا امتناع في تجعيدها وتشكلها على هيئة الصورة كما بيناه وفي صورة هذه اليد الاسلامية ظهرت يد قيوميته بالسموات والارض

في قوله تعالى (وله اسلم من في السموات والارض) وفيها ظهر سر العهد والمبايعة في قوله (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم) وفيها ظهر سر اجازته . وعصمته بقوله تعالى (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه) لان من قال لا اله الا الله عصم دمه وماله

فصل ومنها صفة الكلام والمتشابه منها نسبة الصوت والحرف الى كلام الله سبحانه وتعالى وقد وردت ايات واحاديث توهم ذلك

فمنها قوله تعالى (حتى يسمع كلام الله والمسموع انما هو الحرف والصوت

ومنها سماع موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله وما روي من ان الله تعالى ينادي بصوت يسمعهُ من قرب كما يسمعه من بعد

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة الحسنة بعشر امثالها لااقول آلم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وغير ذلك من الاحاديث الثابتة وهي مسألة مهمة بعيدة الغور تزلزلت فيها اقدام المتكلمين

ومذهب اهل الحق ان لله تعالى كلامًا قديمًا قائمًا بذاته واحداً في حقيقته مخالفًا لصفة علمه وارادته منزهًا عن الظروف المرتبة والاصوات المحدثة منزلاً على

نبيه مقروءاً بالالسنة مكتوباً في المصاحف مسموعاً لموسى صلى الله عليه وسلم حقيقة ولمن يريد الله تعالى اسماعه غير مخلوق في الشجرة ولا قائم بالحوادث وموضع البراهين العقلية والسمعية على كل مقام من ذلك الكتب الكلامية والمقصود هاهنا ماوقع من المتشابه في الكتاب والسنة من ايهام نسبة الصوت والحرف الى الله سبحانهُ ولا بد في ردها للمحكم من مراجعة مقدمة هذا الكتاب وهو ان كلام الله سبحانهُ صفتهُ وصفة القديم قديمة تتقدس عن الحدوث والحروف في افادة الكلام يلزمها الترتيب وتقدم بعضها على بعض وذلك مستحيل على القديم ولكنا قدمنا ان لصفاته مظهرين وبه يعلم ان لكلامه مظهرين مظهر علوي روحاني وهو روح القدس وكلمة العلي والحروف والاصوات من لوازم المظهرين وكلامهُ منزه عنها كتنزه القلب في كلامه عن الحروف اللسانية والاصوات الهوائية وان كانت مظاهر له وبهذا يتضح لك جميع المتشابه وانا افصله لك

فمنه قوله تعالى (فاجره حتى يسمع كلام الله) اي بواسطة مظاهره الجسمانية وهي اصوات العباد وحروفهم واطلاق كونه سامعاً لكلام الله بذلك مجاز لما قدمناه ان المظاهر الجسمانية ليست منسوبة الى الله تعالى لغة ولا شرعاً

ومنه ما يروى عن عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ان الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ياتيك الوحي قال احياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليَّ فينفصم عني وقد وعيت عنه قال واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول وهذا يحقق لك ان لكلام الله تعالى في الروحانيات مظهرين مظهرٌ جلي يتشكل بالمظاهر الجسمانية واصواتها وحروفها ومظهر آخر له حروف واصوات خفي روحاني لان الجرس في اصله هو الصوت الخفي والصلصلة صوت اليابس الصلب اذا حرك ويصح نسبة المسموع حينئذ الى الله تعالى بالتأويل الذي ذكرتهُ لك وها هنا سؤالان

احدهما ما السر في مناسبة الصوت المسموع بالصلصلة

الثاني ما وجه اشتداده عليهِ والجواب عن الاول ان المتنزل هو الروح وهذا الصوت ليس صوت الروح وانما الروح اذا تجلت للرؤية افادت لمن تجلت عليهِ الرؤية

في مظهر يناسب قابليتهُ واستعداده كما قدمناه في اختلاف الروايتين عَلَى حسب صور اخلاقهم واعمالهم وكذلك اذا تجلت للاسماع افادت السمع بواسطة مظهر يناسب قابلية السامع

ومن المعلوم ان الانسان قبل نفخ الروح فيهِ كان اصله من صلصال وهي صورة طين يابس اذا نقر او داخله الريح صل وصوت ففهم بذلك ان الصوت والحرف المسموع عند تنزل روح الوحي انما هو حادث متناسب بصفة الانسان ظهر لسراية روح الوحي عليهِ وانفصامه عن القلب عند تجليه بحجاب الحس فهنالك يجد نفسه قد وعي اي جمع له الوحي بكتابة روحانيتهِ في لوح قلبهِ تحقيقاً لقوله تعالى ان علينا جمعه وقرانهُ

واما الجواب عن الثاني فانما كان ذلك اشد الوحي لان الروح الانساني لها تعلق بالحس وارتباط بهِ ارتباطاً جسمانياً فاذا جاء الوحي بواسطة الملك وهو على مثال الانسان فقد تطور الملك وبرز بالوحي الى الدائرة الانسانية فسهل على الروح تلقيه لمناسبة العالم الحسي واذا جاء الوحي روحاً مجرداً اقتضى تجرد القابل له من علاقة الحس فاشتد ثقله كما يشتد عليها التجرد من الجسد عند الموت ومن هذا يفهم السر في قوله صلى الله عليهِ وسلم لعائشة في عقب الوحي حدثيني انهُ يريد الرجوع الى عالم الحس ليخف على امتهِ تلقي ما يلقيه اليهم عند التبليغ

ومنهُ في البخاري والترمذي واللفظ له عن ابي هريرة رضي الله عنهُ قال اذا قضى الله في السماء امراً ضربت الملائكة اجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليُّ الكبير وهذا يقتضي ان هذا الصوت المسموع صوت اجنحة الملائكة ولكن

في بعض الروايات ما يقتضي نسبتهُ الى الوحي وهو يتخرج على ما قررناه لانهُ كما ان الوحي سمعهُ محمد صلى الله عليه وسلم كصلصلة الجرس باعتبار قابليته فكذلك تسمعهُ الملائكة كجر السلسلة على الصفوان باعتبار قابليتهم لا باعتبار نفسه وفيهِ تحقيق ان اجنحة الملائكة ليست كأجنحة الطير وانما هي صفات روحانية كما قاله السهيليُّ وهي قوى تسترسل بها فيما يأذن الله تعالى لها من التصديق

ولهذا جاء ذكر الاجنحة مثنى وثلاث ورباع وضربها بها استعدادها لقبول ما يلقى عليها من روح الامر واسترسالها في تنفيذه وكأنهُ من ضرب في الارض اذا سار

تنبيه من تشبيهِ ما يسمع الملائكة عند الوحي بالسلسلة تفهم المناسبة في رؤيا عبد المطلب قبل مولد نبينا محمد صلى الله عليهِ وسلم انهُ خرج من ظهره سلسلة لها طرف بالمشرق وطرف بالمغرب وطرف في السماء وطرف بالارض ثم صارت شجرة لها ورق من نور تعلق بها اهل المشرق والمغرب فأوله المعبرون بولد فانظر مناسبة هذه الرؤيا للوحي اما مناسبة السلسلة فقد علمته واما مناسبة مصيرها شجرة فخذه من كلامهِ سبحانه لموسى صلى الله عليهِ وسلم وسماعه اياه من الشجرة وحقيقة تلك الشجرة هي الروح المحمدية القائمة بسر لا اله الا الله المرادة بقوله (توقد من شجرة مباركة زيتونة) الاية وهي الشجرة في قوله تعالى (مثل كلمة طيبة كشجرة) الاية وفي قوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين)

فالدهن هو حقيقة الزيت الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه النار التي آنسها موسى صلى الله عليه وسلم والصبغ هو حقيقة الصبغة في قوله تعالى (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة)

تنبيه افادة الشجرة لاسماع كلام الله كافادة السنة القراء وكلاهما في ذلك بمثابة القلم في افادة المكتوب والى هذا السر اشار بقوله تعالى (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله) وانما ينكشف لك ذلك بمعرفة سبب نزول هذه الآية فان سبب نزولها ان اليهود قالوا انا اوتينا التوراة فيها موعظة وتفصيل لكل شيء فلا حاجة الى ماجاء بهِ محمد صلى الله عليهِ وسلم فانزل الله تعالى (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام) الاية اي لو كان كلما في الارض من الاشجار اقلام تفيد من كلام الله تعالى ما افادته شجرة موسى صلى الله عليهِ وسلم ما نفدت كلمات الله ولا حصل الاستغناء عنها فانظر كيف اشار لشجرة الكلمات الموسوية وجعلها بمثابة القلم في افادة كلمات الربوبية فكما ان المكتوب لا يحل بالقلم ولا يكون صفة له ولا يتنقل بهِ عمن هو صفته كذلك

الكلام المسموع لا يحل بالالسنة ولا بالمصاحف ولا بالاقلام ولا يكون صفة للقاريء ولا ينتقل بالقراءة والكتابة عن موصوفه تبارك وتعالى

فان قيل فما معنى كونه منزلاً قلت قد اجاز المتكلمون بان الانزال الكتاب والعبارة الدالين عليه وفيه نظر لان المعتزلة وصفوه بانه مخلوق ففر اهل السنة من ذلك الى وصفه بانه منزل فاذا كان الانزال يرجع الى الكتاب والعبارة الدالين عليه فالكتابة والعبارة مخلوقة ايضاً فلا فرق بين وصفها بالخلق او الانزال رددت ذلك الى امر تعبدي او توفيق سماعي والتحقيق ان وصفه بالانزال كوصفه بالنزول وانه نزول بروح امره ولذلك انزل القرآن انزالاً للروح المحمدي قال تعالى (قد انزل الله اليكم ذكراً رسولاً) فابدل الرسول من الذكر والمقصود بالعامل البدل وذلك نص في انزال الذكر هو انزال الرسول بالذكر وقال تعالى واتبعوا النور الذي انزل معه وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون) فجعل الانزال للملائكة بالروح وفسر الروح بكلامه وهو قوله ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون ولهذا جاء بان المفسرة وسيأتي لذلك مزيد بيان في صفة الانزال ان شاء الله تعالى

فصل ومن المتشابه صفة القدم فانه ثبت في الصحيح من حديث انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع فيها رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك وهذا ايضاً يرجع الى المحكم قال تعالى (وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم) وقد مهدنا ان الصورة المنسوبة الى الله تعالى هي ظل غمام الشريعة وان وجهه منها هو بارق نور التوحيد ومظهره الاخلاص وعلى هذا فالقدم هو نور الايمان ومظهره الصدق وهذا هو القدم الذي تستغيث النار من نوره كما جاء في حديث ابي سمية قال سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن الورود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى برٌ ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجاً من بردهم

وفي حديث يعلى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

النار لتنادي جز يامؤمن فقد اطفأ نورك لهبي اخرجها ابو عبد الله محمد الترمذي الحكيم وذكر القرطبي حديث يعلى عن ابي بكر النجاد تحقيق ما يحقق ان القدم فيما ذكرناه امران

احدهما ان نور الايمان يكفر جميع اسباب الكفر والمعاصي وهي اسباب فكما يطفئ اسبابها في الدنيا فكذلك حقيقته تطفئ حقيقتها في الآخرة

الثاني نسبته الى رب العزة وهو صاحب العزة ومالكها والعزة ان كان جميعاً لله تعالى بمقتضى قوله تعالى (فلله العزة جميعاً) لكنه قد نسبها لرسوله وللمؤمنين في قوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فما من مؤمن الا وهو صاحب العزة فاذا وضع قدمه حق للنار ان تضج منه وتنزوي وتنطفئ نارها بما له من نور العزة

فائدة في الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى ان من اسمائه صلى الله عليه وسلم قدم الصدق وهو يقتضي انه الاصل الجامع لكل نور من انوار صفاته واسمائه تعالى

تنبيه جاء في حديث ابي هريرة رضي الله عنه عند مسلم فاما النار فلا تمتلي حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتقول قطٍ قطٍ فهنالك تمتلي وتنزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احداً وذكر الحديث وهو غير مناف لما ذكرناه ومرجعه للحديث الصحيح الذي قدمناه ولا يزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به الى قوله (ورجله التي يمشي بها) فانه يقتضي تحقق رجل المؤمن بنور التوحيد حتى تكون منسوبة الي الله تعالى وحينئذ فهو موافق لما تقدم في القدم

وقوله فهنالك تمتلي اي باهلها من المتكبرين وقوله (وتنزوي بعضها الى بعض) فيه حكمتان

احداهما انها عندما تضج بسبب نور العزة من اقدام المؤمنين فيخرجون منها لخلو مواضعهم فلو بقيت كذلك لما كانت مملوءة وهو مناف لقوله تعالى (لاملأن جهنم) الاية وايضاً فربما كان في ذلك تخفيفاً على اهلها فاقتضت الحكمة انها حينئذ تنضم

وتجمع على اهلها وتمتلي بهم تحقيقاً للوعيد وزيادة في العذاب

الحكمة الثانية انها لو بقيت مواضع المؤمنين خالية من النار لم يتم لهم سرورهم بالامن منها لعلمهم ان الله وعدها انه يملأها فربما توقعوا الاعادة فكان في انزوائها وانضمامها على اهلها وامتلائها بهم تأمين للمؤمنين كما ذبح الموت بين الفريقين تحقيقاً للخلود

قوله (فلا يظلم الله من خلقه احداً) اي لا يملأها بغير اهلها تحقيقاً لقوله تعالى (ما يبدل القول لديّ وما انا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد)

تبصرة بهذا القدم يفهم السر في قوله تعالى (اذ يغشاكم النعاس امنة منه الى قوله وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام) وفي قول السريين (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا) فنبه على ان تثبيت الاقدام بالماء المطهر المنزل على القلب بروح التوحيد بدليل قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين امنوا وهدًى وبشرى للمسلمين) فانظر كيف أضيف الروح للقدس وهو الطهارة وجعلها المثبتة بالقرآن لاقدام الذين امنوا وبشرى لهم اي بقدم الصدق بدليل تصريحه به في يونس كما قدمناه

تنبيه بهذا القدم الصدق الذي تستغيث النار من نوره يفهم السر في تخصيص ابراهيم ببرد النار وسلامها لايمانه في قوله تعالى (فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) الاية وكذلك يفهم السر في انس موسى صلى الله عليه وسلم بالنار وقوله تعالى (فاخلع نعليك) لانه كان له قدم الصدق الايماني بمقتضى قولة تعالى (وانا اول المؤمنين)

اشارة قوله تعالى (اخلع نعليك) له ظاهر وباطن فاما ظاهره فالحكمة في الامر بخلع النعل الظاهر ان سير الانبياء في الارض كان سير اعتبار واذكار ونظر لما اودع فيها من سر البدأ والاعادة بمقتضى قوله (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشاة الاخرة) وكان المراد التعرف لموسى بسر الاعادة وقيام الساعة ولهذا كانت مناجاته في الجانب الغربي لان من اكبر

آيات الساعة طلوع الشمس من مغربها وقيل له في اول مناجاته (اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية)

ومن المعلوم ان بعثة الخلائق وحشرهم يكون من الارض المقدسة وقد فسر قوله تعالى (واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب) اي من صخرة بيت المقدس فمن ها هنا قيل لموسى صلى الله عليه وسلم عند ما سار باهله و بلغ بيت المقدس وكشف له عن سر ما اودع فيه من قيام الساعة اخلع نعليك تنبيهاً على انه انتهى سفرك و بلغ ما كان المراد بك من التعرف ولهذا قيل له (انك بالواد المقدس) اي هذا هو الوادي الذي اودع فيه سر قيام الساعة ورجوع الخلائق الى الله تعالى فاخلع نعليك والق عصاك فان النعل واخذ العصا من توابع السفر وخلع النعل والقاء العصا من اعلام الاقامة قال الشاعر

فالقت عصاها واطمأن بها النوى كما قرَّ عيناً بالاياب المسافرُ

واما الباطن فان حقيقة النعل ما يكون وقاية لقدم الصدق من عوائق طريق القلب الى الله تعالى وما فيه من وعر وشوك كما نبه عليه قوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم تعس وانتكس وشيك ولا انتقش فنبه بهذا على ان افتتان القلب بزينة الدنيا يعوق قدم الصدق عن السير الى الله فان عظم في عينيه منها شيء تعس به وان احتقره او استهان به كان بمثابة الشوك يدخل في قدم السائر فان انتقش اي اخرجه بمنقاش الاستغفار والقاه بالزهد فيه سلم وسارع بقدم صدقه الى الله تعالى وان اهمله كان بمثابة الشوكة التي يهملها صاحبها حتى تتمكن و يفسد بها الدم ويحصل المرض والوقوف عن السير وربما تمكنت فكانت سبباً للموت او ورما للقدم والنعلان يقيان من ذلك وهما الرجاء فيه والخوف منهُ كموسى صلى الله عليه وسلم لما خرج خائفاً يترقب وقال عند التوجه عسى ربي ان يهديني سواء السبيل علم انهُ انتعل الخوف والرجاء وركبهما في سيره لان من انتعل فقد ركب لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهُ عنهما في صحيح مسلم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال اكثروا من النعال فان الرجل لا يزال راكباً ما انتعل فلما بلغ حضرة المناجاة والتأنيس وحل في وادي التقديس

قيل له اخلع نعليك لان الرجاء والخوف لارباب السلوك لا لمن وصل وخص بمجالسة الملوك

ومما يحقق لك ان الرجاء والخوف هما نعل قدم الصدق حديثان

احدهما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهُ انه صلى الله عليه وسلم قال لبلال اخبرني بارجا عمل عملته في الاسلام فاني سمعت دقّ نعليك بين يديّ في الجنة وذكر الحديث فافهم بقوله اخبرني بارجا عمل ان الرجا هو نعل قدم الصدق ولهذا قال فاني سمعت دقّ نعليك فاتى بباء والف وهما يفيدان سببية الوصف للحكم اي ان سبب سماعه دق نعليه هو رجاؤه لله بعمله

الحديث الثاني ما رواه مسلم عن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهون اهل النار عذابًا ابو طالب وان في قدميه لنعلين يغلي منهما دماغه وانما خص بالنعلين لانه كان له قدم في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم ومحبته ونصرته والذب عنه ولكنه كان لا يدين بدينه خوفًا من مسبة العرب

ولهذا قال لقريش عند الموت في وصيته واوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين في قريش والصديق في العرب وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة السباب ثم قال في آخر كلامه وان من سلك سبيله رشد ومن اخذ بهديه سعد فانظر كيف كان له قدم صدق في محبته صلى الله عليه وسلم وقبول امره ولكنه انتعل فيه الخوف من الخلق والرجاء لهم فظهرت حقيقته له بعد الموت بنعلين من النار

واما الحكمة في كونهما يغلي منهما دماغه فلأن في الصحيح الا اخبركم برأس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله

ومن المعلوم ان ابا طالب كان اشد الناس جهاداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يتدين بدينه خشية من السبة فكان خوفه لغير الله تعالى سببًا لاحباط جهاده وافساده وهكذا تكون حقيقة خوفه لغير الله تعالى وهي نعله في النار سببًا لاذابة دماغه وهو لب رأسه واحباطه بالاذابة والافساد

فصل ومن المتشابه الجنب في قوله تعالى (ان تقول نفس يا حسرتا على

ما فرطت في جنب الله) وهو ايضاً يتخرج عَلَي مـا مهدناه وذلك ان الصورة اذا كانت ظلة غمام الشريعة فرأسها كتاب الله وجنبها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومظهرها متابعته ومتابعة خلفائه الراشدين وعلماء الامة المتقين ومما يدل على ذلك قوله تعالى (واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم) مع قوله في اثناء السورة (الله نزل احسن الحديث) فعلم انه كتاب الله وكذا سنة رسوله صلى الله عليهِ وسلم لانهُ لا ينطق عن الهوىٰ ان هو الاوحي يوحى فلما مهد الامر بالمتابعة لكتابه وسنة رسوله صلى الله عليهِ وسلم حذر من اتيان عذابه قبل ذلك ومن قول النفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وذلك كالصريح في ان الجنب هو سنة رسوله صلى الله عليـه وسلم وعلماء الامة المتقين لانهم كانوا يسخرون من الذين امنوا في اتباعهم لرسوله صلى الله عليه وسلم فلهذا اردفت حسرتها بقولها وان كنت لمن الساخرين وبقولها لو ان الله هداني لكنت من المتقين فرد الله عليهـا بقوله (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين)

تنبيه قد سبق في اثناء السورة قوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله) ثم بين انهم الذين اتقوا بقوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتهـا الانهار) ثم بين بقوله تعالى (وعد الله) ان ذلك هو الذي وعدهم به في قوله (زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم يكونون في الدرك الاسفل والذين اتقوا في الغرف ولذلك حق لهم ان يتحسروا على ما فرطوا في جنب الله وهو صحبـة رسوله صلى الله عليه وسلم ومتابعته حتى يسعدوا به وبصحبته كما سعد به المتقون من اتباعه واهتدوا باتباعه وفي ذلك انهُ تظهر لهم حقيقة سخريتهم في قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفًا) الي قوله (والذين اهتدوا زادهم هدًى وآتاهم تقواهم)

تبصرة اذا تقرر لك بهذا ان الجنب جنبان جنب حسي وجنب معنوي حقيقي وكذلك الصاحب بالجنب صاحبان صاحب في السفر الحسي وصاحب في السفر

الغيبي القلبي فبذلك فافهم السر في قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين) الاية وان ترقيت فاعتبر قوله تعالي عن رسوله (ما ضل صاحبكم وما غوى) ثم اعتبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم في سفره اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل

بيان قد روي ابو عبد الله الحكيم الترمذي بسنده الى عبد الله بن سلام رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم يجلسه الله معه عَلَى العرش وذلك يتخرج على ما مهدناه لانا بينا ان الصورة التي يتجلى الله تعالى فيها ظلة غمامه وهي انوار آياته وفي تلك الصورة يتجلى عَلَى العرش ونبينا صلى الله عليه وسلم يتجلي لامته في ظلة سنته وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا يفترقان كما لا تفارق لا اله الا الله محمد رسول الله فمن هاهنا صحت المجالسة له مع ربه على عرشه ووضح بهذا حسرة النفوس التي شقيت بمخالفته على تفريطها في جنب الله تعالى لانها تشهد هنالك حقيقة معية ربه له تعالى ومجالسته

اعتبار ذكر ابو عبد الله الترمذي في نوادر الاصول له حديث رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهوال القيامة وفيه ورأيت رجلاً من امتي والنبيون حلق حلق كلما دنا الى حضرة طرد فجاءه غسله من الجنابة فاخذ بيده فاقعده الى جنبي وهو ايضًا يخرج عَلَى مامهدناه لان اتباع السنة تارة يكون فيما يقتضي التنزيهُ وتارة يكون فيما يقتضي الحمد وبهما يكمل الميزان كما ثبت في الصحيح الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان فصاحب غسل الجنابة اذا شهد نور المتابعة المحمدية في الغسل حصل له شطر الايمان فلذلك فاز بصحبته للجنب المحمدي ومجالسته

واما صفة الفوقية فقد جاء بهما الكتاب والسنة كقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) وآيات كثيرة واحاديث وهو معدود من المتشابه وذلك لان فوق كلمة موضوعة لافادة جهة العلو والله تعالى منزه عن الجهات وانما المراد منها حيث اطلقت في حق ربنا سبحانهُ افادة العلو الحقيقي ومما يدل على عدم اختصاصه بجهة فوق قوله تعالى (وهو الله في السموات وفي الارض) وقوله تعالى (وهو الذي في السماء آله وفي الارض آله) وقوله

تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) وقوله تعالى (ونحن اقرب اليهِ من حبل الوريد) وقوله تعالى (ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم) وآيات كثيرة يطول ذكرها ولو كان في جهة العلو تعارضت هذه الايات واختلفت وهوَ مناف لقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيهِ اختلافًا كثيراً) وفي مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنهُ انهُ صلى الله عليهِ وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربهِ وهو ساجد فنفى تقيده بجهة فوق وهو لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والذي يجمع بين الآيات والاحاديث ان تعلم ان العلو له اعتباران اعتبار اضافي واعتبار حقيقي فعلو المخلوقات بعضها على بعض انما هو علو اضافي لان ما من مخلوق له جهة علو الا وهو مستقل بالنسبة الى مخلوق اخر هو فوقهُ الا ما يشاء الله وهذا العلو الاضافي قسمان قسم حسي وهو المفهوم بالنسبة الى الجهات المكانيــة المخصوص بالجواهر المتفرقة الى الحيز وقسم معنوي وهو المفهوم بالنسبة الى درجات الكمال العرفاني لارباب القلوب او الكمال الوهمي لارباب النفوس قال تعالى (ورفعنا بعضهم فوق بعضهم درجات) وقال تعالى (انظر كيف فضلنــا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلاً) هذا كله في العلو الاضافي

واما العلو الحقيقي فانما هو لله تعالى وسع كرسيهُ السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم وعلوه هذا محقق قبل الجهات والاماكن مفهوم بدون النسب والاضافات عام في جميع تجلياتهِ على مخلوقاتهِ باسمــائهِ وصفاتهِ وانما يعرفهُ ويشهده ارباب البصائر والقلوب ولتجلي نور توحيده بعلو فوقيتهِ تعالى سبحة وله حجاب فسبحتهُ صفة القهر وحجابهُ خلوص العبودية قالـــ تعالى (وهو القاهر فوق عباده)

تنبيه اذا اردت ان تحقق ان فوقيتهُ ليست فوقية مكان وانما هي الفوقيــة الحقيقية بقهر الربوبية للعبودية فتفكر في انهُ تعالى كان ولا شيء معهُ ولم يتجدد له بخلقهِ السموات علو ولا بخلقهِ الارض نزول ولا بخلقهِ العرش استواء وانما عن تجلي اسمائهِ وصفاتهِ نشئت اعداد مخلوقاتهِ غير مماسة له ولا منتسبة اليــهِ بفوقي

ولا تحت ولا شيء من الجهات قال تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى) فوصفهُ بالأعلى حال اتصافهِ بالخلق فدل على ان علوه محقق قبل الخلق وكذا قال (وما قدروا الله حق قدره) الاية وصف نفسهُ آخر الاية بالعلو والتنزه بعد ذكره قبضهُ للارض وطيه للسماء فدل ان علوه علو حقيقي لا مكاني وتأمل قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) مع قول فرعون عن بني اسرائيل (سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) فهل يفهم احد ان فرعون ادَّعى انه فوق بني اسرائيل بالمكان او بالجهة وانما لما ادَّعى الربوبية بقوله (انا ربكم الاعلى) كان من لازم دعواه ادعاء الفوقية اللايقة بالربوبيه وهي الفوقية الحقيقية بالقهر فلذالك قال وانا فوقهم قاهرون لا جرم كذبهُ الله تعالى في الامرين فكذَّبهُ في قوله تعالى (انا ربكم الاعلى) بقوله تعالى لموسى صلى الله عليه وسلم (لا تخف انك انت الاعلى) وكذبهُ في قهره بقوله تعالى (فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم واضلَّ فرعون قومهُ وما هدي)

تنبيه قوله تعالى (رفيع الدرجات) يرجع الى العلو والفوقية الحقيقية وليس المراد انَّ العلو الحقيقي له درجات وتفاوت وانما المراد ان للعباد في ترقيهم الى معرفته وخلوص التحقيق بهِ درجات الاولى درجة الايمان الثانية درجة التقوى الثالثة درجة الاتباع الرابعة درجة العلم

قال الله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتو العلم درجات) وقال تعالى (والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة) وقال تعالى (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) وقال تعالى (وفوق كل ذي علم عليم)

تنبيه قوله تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) الاية فسرّت بالمساجد وفسرّت بالقلوب وكيف ما كان فرفعها تحققها واشتمالها على ما ذكرناه من الدرجات المذكورة وتمام الاية يحققهُ

تنبيه لما ادعي فرعون الربوبية واعتقد الجهة لله تعالى قال (ياهامان ابن لي صرحًا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى آله موسى) فردَّ الله تعالى عليهِ وسخف سوء رأيهِ بقوله (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدَّ عن السبيل) اي عدل

عن سبيل القرب والدنو من آله موسى فانه تنزه عن علو المكان وانما يقصد اليه بالكلم الطيب والعمل الصالح يرفعهُ اين هو من قول موسى صلى الله عليه وسلم (وعجلت اليك ربي لترضى) مع انه لم يبن له صرح في الدنو والقرب الى صعود السماء ولا جناح وكذلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث جآء ربهُ بقلبٍ سليم ووهب له لسان صدق عليّ فكان مجيئهُ اليه ووصولهُ اليه وثاوهُ بسلامة القلب وصدق اللسان لا بالنسور وبالصعود للمكان وقد ثبت ايواء الله تعالي للمؤمنين في قوله (واذكروا اذا انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم)وفي صحيح البخاري عن ابي واقد الليثي ان ثلاثة حضروا حلقة ذكر فدخل احدهم الحلقة والثاني جلس خلفهم والثالث ادبر ذاهباً فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما احدهم فآوى الى الله فآواه الله والاخر استحى فاستحى الله منهُ والاخر اعرض فاعرض الله عنه فنبه صلى الله عليه وسلم على ان الداخل آوى الى الله فآواه الله مع العلم بانهُ ليس الايواء في الآية والحديث باعتبار مكان وفي صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم راى نخامة في القبلة فقال ما بال احدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع امامه ايحب ان يستقبل فيتنخع في وجهه فدل على انهُ ليس مخصوصاً بجهة فوق والا لما كان قبلة المصلي امامه وبالجملة فالاحاديث الدالة على عموم احاطة ربنا سبحانه بجميع الجهات وعدم اختصاصه كثيرة والقصد قد حصل بما ذكرناه

فصل قصة الآسراء وان كانت مشتملةً على الترقي بالنبي صلى الله عليهِ وسلم الى السموات فليست منافية لما ذكرناه ولا مستلزمة لاثبات الجهة ويدل عليهِ امور

منها افتتاح السورة بسبحان الذي المقتضى للتنزيهِ تنبيهاً على تعاليهِ عن التحيز بالجهات وعلى عدم اختصاصهِ بجهة

الثاني قوله (اسرى بعبده) فاتى بباء الاضافة المفيدة للمصاحبة في تعدية الفعل تنبيهاً على مصاحبته له في حالة اسرائهِ وانهُ ليس نائياً ولا بعيداً عنهُ فيحتاج في قربهِ الى قطع مسافة مكانية وتحقيقاً لقوله صلى الله عليهِ وسلم (اللهم انت الصاحب

في السفر)

الثالث قوله بعبده تنبيهاً عَلَى انه على حسب التحقق لخضوع العبودية يكون الترقي الى حضرة الربوبية

الرابع قوله ليلاً وان كان لفظ الاسرآء مفيداً لذلك تنبيهاً على ان كما تضمنه الاسرآء كان خارجاً عن العادة في مثله فانهُ جعل العلة فيه ان يريه من آياته والارأة العادية سلطانها النهار فقال ليلاً ليعلم ان الرؤية المقصودة ليست عادية بل هي رؤية ربه بنور رباني سلطانه الليل دون النهار

الخامس قوله من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نبه عَلَى ان الاسرآء لو كان لضرورة رؤية ربهُ لكونه مخصوصاً بجهة العلو لم تكن حاجة بالذهاب الى المسجد الاقصى ولا مكن الترقي من مكة الى السماء فدل على ان الاسرآء والترقي من مكان لمكان لحكمة وراء ما زعم مثبت الجهة والسر فيه وفي كونه

ذكره تعالى في كتابه للتنبيهِ على ان العبد لا يصل الى الله تعالى الا فرداً تحقيقاً لقوله(وكلهم آتيه يوم القيمة فرداً) ولا تتحقق له الفردية الا بعد مفارقة الحوادث وتجرده عنها فهناك يصل الى حضرة عنديته وقد جآء الكتاب العزيز بالتنبيه عَلَى ان حضرة عنديته ورآء دواير السموات والارض ومن عنده فعطف من عنده على من في السموات والارض والعطف يقتضى المغايرة فدل على ان حضرة العندية ورآء السموات والارض وهي مع ذلك محيطة بالسموات والارض كاحاطة ربها بذلك كله مباينة لها كمباينته فمن ارادها فعليه بتفرقةِ الحوادث ومباينته لها فعلم ان الفرقة فرقة قلبية غيبية وفرقة حسية فان فارقها بقلبهِ وصل الى الله تعالى بقلبه وان فارقها بجسهِ تبعاً لقلبهِ وصل الى الله تعالى بجسهِ وقلبهِ ولذلك كان الاسرآء مرتين مرة بالروح ومرة بالجسد تنبيهاً على انهُ صلى الله عليه وسلم شرع لامتهِ فراق الحوادث مرتين مرة بالروح وهو الاسرآء الاول ومرة بالجسد حساً وهو الاسرآء الثاني

ومن المعلوم انهُ لا تحقق لفرقة الحوادث حساً الا بمجاوزة دواير الافلاك كلها كما ثبت ليلة الاسرآء واما ترتيب نقلتهِ وترقيه في توجههُ ففيه اسرار بديعة

اظهرها واجلاها ان فرض الصلاة كان ليلة الآسراء والصلاة حضرة القرب والمناجاة والمراقبة المثمرة لنعيم الرؤية

ومن المعلوم ان التوجه توجهان روحانى وحسي فقبلة التوجه الروحانى وجه الله تعالى ولا اختصاص له بمكان واما التوجه الحسي فله قبلتان بيت المقدس والكعبة فبيت المقدس هو قبلة الانبياء والكعبة هي قبلة ابراهيم صلى الله عليه وسلم فجاء الآسراء الروحانى اولاً تأسيساً للشريعة في قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله) وجاء الاسراء الحسيّ مبدواً بالتوجه لبيت المقدس ثم الى السماء ثم بالرجوع الى الكعبة تأسيساً للشريعة في التوجه الحسيّ في الصلاة اولاً لبيت المقدس ثم للسماء في قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء) ثم بالرجوع الي قبلة مكة في قوله (فولّ وجهك شطر المسجد الحرام)

اشارة لما كان توجهه ليلة الآسراء الي مكة بعد خروجه من حضرة القرب في التلقي الى حضرة القرب في التبليغ جاء التشريع في التوجه الى الكعبة علي وفق المناسبة فقال فيه (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) ومن هذا يفهم السرّ في قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلةً لك) الى قوله (وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) وهذا المخرج للدعوة والتبليغ هو المخرج الذي ورثته عنه امته في قوله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) الآية

تنبيه قوله تعالى (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى) اياك ان تفهم ان ذلك يشعر بتحديد في القرب او تخصيص في جهة وانما هو دنو تجل وكشف لانه ذكره في قصة الآسراء بالروح الا ترى قوله تعالى بعد (ما كذب الفواد ما رأى) ثم ذكر بعده الآسراء الحسي فقال تعالى (ولقد رآه نزلةً اخرى) الى قوله (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فاذا علم انه دنو تجل روحانيّ وكشف عرفاني فهمت سرّ قوله تعالى (وهو بالافق الاعلى) ثم دنا عن الافق الاعلى في نعيم الرؤية وفي بيان الحق فكان قاب قوسين او ادنى اي قدر قوسين والقوس في اللغة يستعمل في الذراع وما يقدّر ويقاس به وهو المراد هنا وهو من قوله تعالى في الصحيح

(انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني) الحديث وفيه (فان تقرب الي شبراً تقربت منه ذراعاً وان تقرب الي ذراعاً) تقربت منه باعاً وليس فيهما ذراع حسي محدد وانما المراد تمثيل التقريب لدنو الذاكر من المذكور في مجالس النجوى والذكرى وتجلي سر المعية للقلب وادنى الرتب في ذلك تحقق القلب بسر سبحان الله وسر الحمد لله وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ليلة الآسراء واذا اردت التحقيق نخذه من افتتاح سورة الاسراء بسبحان واختتامها بقوله (وقل الحمد لله) ثم نبه على انتفاء التقدير في دنوه بقوله تعالى (او ادنى) وهو التحقيق بالتوحيد في نعيم الرؤية بالاية الكبرى وهي (لا اله الا الله) ولذلك وصفه بقوله آخر سورة الاسرآء (الذي لم يتخذ ولداً) الى قوله (وكبره تكبيراً) تحقيقاً لقوله (وما بينهم وبين النظر الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) كما قدمناه

ايضاح اذا اردت ان تفهم سر التدلى في قوله تعالى (فتدلى) فتأمل مارواه ابوعيسى الترمذي من حديث العنان وفيه ذكر الارضين السبع وان بين كل ارض وارض كما بين السماء والارض ثم قال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لو دلى احدكم حبلا لوقع على الله) فنبه صلى الله عليه وسلم على عدم تحيزه في السمآء وانه ليس مختصاً بجهة كما نبه على ذلك قوله تعالى (ثم دنا فتدلى) فان الاسراء كان للعلو فربما يوهم المحجوب ان الدنو في قوله دنا زيادة العلو فنبه بقوله فتدلى على ان قربه قاب قوسين كان ثمرة التدلي المشعر بالتنزيل وانه تعالى لا يختص قربه بجهة العلو بل التدلي اليه بالخضوع اقرب تحقيقاً لقوله (واسجد واقترب) وفي الصحيح اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد

تبصرة قوله صلى الله عليه وسلم (لو دلي بحبل لوقع على الله) له تأويلان ظاهر وباطن فالظاهر التنبيه على احاطته سبحانه بكل شيء وعلى احاطة حضرته كما قدمناه في الاسرآء واما الباطن فالحبل حبلان حادث وقديم فالحادث حبل الوريد وهو الحديث النفساني والنور العقلي فلو دلى المتفكر حبل شعاع عقله الى منتهى المخلوقات السفلية لوقع في كل حضرة من حضرات مدركاته على الله لانه اقرب اليه من كل شيء (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن

اقرب اليه من حبل الوريد)

واما الباطن القديم فهو حبل الله المتين وكتابه المبين فمن تمسك به شهد تنزله على اراضي القلوب ووقوع حبل اشعته على الله فيها لان القلب بيت الرب (فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسمٌ لو تعلمون عظيم انه لقرانٌ كريمٌ)الى قوله (ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون)

تبصرة اذا اردت زيادة التبصر بان الاسراء وعروج الملائكة ورفع عيسى وادريس صلى الله عليهم وسلم الى السماء لا يدل على ان الله تعالى مخصوصٌ بجهة السماء فاعتبر فرض الحج عَلَى العباد الى البيت الحرام وامر الله تعالى الناس بالتوجه اليه من جميع الجهات وجعل سكانه جيران الله وحجاجه وفده وضيفانه والحجر الاسود يمينه مع ان نسبة البيت وغيره الى الله تعالى سبحانه كاعتبار المسافة بسفر احد فعلم ان القصد بالسير الى البيت لا ان السير يقتضي القرب والوصول اليه بالمكان وانما لله سبحانه تعبدات واسرار في ضمن مشروعات يقتضيها من عباده بحكم ظاهر وحقيقة الا تراه كيف ناجا موسى صلى الله عليه وسلم بالواد المقدس واسمعه كلامه من الشجرة ووصفه بالقرب الى مجلس حضرته ونجواه مع الاتفاق على انه تعالى لا يختص بجهة الواد المقدس ولا يحل كلامه وهو صفته بالشجرة وان موسى صلى الله عليه وسلم قرب اليه مع كونه بالارض وسمع نداء ربه من جانب الطور ولم يكن ربه بجانب الطور وانما لتجلياته مظاهرٌ وحجبٌ روحانيةٌ وجسمانيةٌ لا يشهدها الا من فتق الله رتق قلبه وفلق اصباح ليله ونوّر مصباح مشكاته بزيت شجرة توحيده (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

تشكيلٌ قد يورد على ذلك نحو قوله تعالى (ءآمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور) وقوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه)وامثال ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية اين الله فقالت في السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة

والجواب انه قد قررنا ان تجلياته تعالى باسمائه وصفاته محيطة بدواير السموات والارض وان لها في تصرفها وسائط سفلية منسوبة للعباد ووسائط علويةً منسوبة

لهفاطلق على نفسه تعالى انه في السمآء باعتبار المظاهر والوسائط السفلية(وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله)وقال الله(لا تتخذوا آلهين اثنين انما هو اله واحد) فاذا كان المقصود بالسياق تحذير اهل الارض وتفخيم الأمر جاء التعبير بمن في السمآء فان مظاهره السماوية هي القائمة بالبصر فان الغيبة المنسوبة اليه كما قررناه

واما تنزيل التدبير وعروجه فهو عروج روحاني ومسر رحماني وكشف عرفاني وسيأتي له مزيد بيان بعد ذكر مسئلة الاستواء

واما تقرير الجارية على ان الله تعالى في السماء ووصفها بانها مؤمنة فالحق ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمد في ايمانها وتقريرها ظاهر لفظها فأن لفظها ليس مفيداً لتوحيد الله تعالى لا على مذهب القائلين بالجهة ولا غيرهم اما عند من لا يثبت الجهة فواضح واما عند مثبت الجهة فلانهم موافقون على انه قد عبدت الملائكة والشمس والكواكب وهي في السماء وعبد عيسى وهو خير الاخيار في السماء وليس في لفظها ما يخرج هؤلاء عن الآلهية ولا ما يقتضي وصفها بالايمان واقرب احتمال في ذلك ان الجارية لشرق لبصرها نور التوحيد في الافاق السماوية تحقيقاً لقوله تعالى (سنريهم اياتنا في الآفاق) الاية فلما قال لها اين الله قالت في السماء اي ظهر نور توحيده في السماء فقال اعتقها فانها مؤمنة ويحقق ذلك كونه لم يقل فانها مسلمة لان الاسلام يتعلق احكامه باللسان والجوارح الظاهرة ولم يكن ظهر منها شيء من ذلك يعتمد عليه وقال انها مؤمنة والايمان من لوازم القلوب فدل على ان اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في تقريرها كان على امر شهده منها يرجع الى قلبها لا الى لفظها مع احتمال لفظها له فلذلك اقرها عليه والله اعلم

فصل ومن الايات المتشابهة ايات الاستوآء والاحاديث الواردة فيه ومرجعها عند المحققين الى الايات المحكمات واول ما ينبغي تقديمه معنى الاستواء لغة واصله افتعال من السواء والسوآء في اللغة العدل والوسط وله وجوه في الاستعمال ترجع الى ذلك

منها استوى يعني اقبل نقله الهروي عن الفرآء فان العرب يقولون استوى الي يخاصمني اي اقبل علي (الثاني)بمعنى قصد قاله الهروي (الثالث) بمعنى استولى (الرابع) بمعنى استقام (الخامس) بمعنى اعتدل (السادس) بمعنى علا قال الشاعر

ولما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

قاله الحسن ابن سهل

اذا علم اصل الوضع وتصاريف الاستعمال فنزل على ذلك الاستواء المنسوب الى ربه سبحانه وتعالى وقد فسره الهروي بالقصد وفسره ابن عرفه بالاقبال كما نقل عن الفراء وفسره بعضهم بالاستيلاء وانكره ابن الاعرابي وقال العرب لا تقول استولى الا لمن له مضادد

وفيما قاله نظر لان الاستيلاء من الولي وهو القرب او من الولاية وكلاهما لا يغتفر اطلاقه بالمضادد

ونقل الحسن بن سهل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر قوله تعالى (ثم استوى الى السماء) قال علا امره وهذه التفاسير كلها محتملة وهو على وفق اللغة والمعاني اللايقة بربنا سبحانه

واما استوى بمعنى استقر ومنه (قوله تعالى واستوت على الجودي) وقوله تعالى (لتستووا على ظهوره) الآية فلا يليق نسبة مثله الى استواء ربنا تعالى على العرش مع انا نقول قد علمت اصل اشتقاق الاستواء ولا مدخل فيه لمعنى الاستقرار وانما الحق ان معنى استوى على الدابة جاء على الاصل ويكون معناه اعتدل او علا عليها والاستقرار لازم ذلك بحسب خصوصية المحل لا ان للاستقرار مدخلاً في معنى اللفظ مطلقاً وحينئذ فلا يصح نسبة مثله اليه تعالى لاستحالته في حقه وعدم وضع اللفظ له

وقد ثبت عن الامام مالك رضي الله عنهُ انه سئل كيف استوى فقال كيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان بهِ واجب والسوءال عنه بدعة

فقوله كيف غير معقول اي كيف من صفات الحوادث وكلما كان من صفات

الحوادث فاثباته في صفات الله تعالى ينافي ما يقتضيه العقل فيجزم على نفيه عن الله تعالى وقوله والاستواء غير مجهول اي انه معلوم المعنى عند اهل اللغة والايمان به على الوجه الاليق به تعالى واجب لانه من الايمان بالله تعالى و بكتبه والسؤال عنه بدعة اي حادث لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا عالمين بمعناه الاليق بحسب اللغة فلم يحتاجوا للسؤال عنه فلما جاء من لم يحط باوضاع لغتهم ولا له نور كنورهم يهديه لصفات ربهم شرع يسأل عن ذلك فكان سؤاله سببا لاشتباهه على الناس وز يغهم عن المراد وتعين على العلماء حينئذ ان لا يهملوا البيان قال الله تعالى (واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه) ولا بد في ايضاح البيان للزيادة

فنقول قد قررنا ان الاستواء مشتق من السواء واصله العدل وحينئذ الاستواء المنسوب الى ربنا تعالى في كتابه بمعنى اعتدل اي قام بالعدل واصله من قوله تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو) الى قوله قائما بالقسط فقيامه بالقسط والعدل هو استوائه و يرجع معناه الى انه اعطى بعدله كل شيء خلقه موزونا بحكمته البالغة في التعرف لخلقه بوحدانيته ولذلك قرنه بقوله (لا اله الا هو العزيز الحكيم) والاستواء المذكور في كتابه استواءآن استواء سماوي واستواء عرشي فالاول تعدى بالى قال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات) وقال (ثم استوى الى السماء وهي دخان) ومعناه والله اعلم اعتدل اي قام بقسطه وتسويته الى السماء فسوهن سبع سموات ونبه على ان استواءه هذا هو قيامه بميزان الحكمة وتسويته بقوله اولا عن الارض (وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين) و بقوله آخرا (ذلك تقدير العزيز العليم) واما الاستواء العرشي فهو انه تعالى قام بالقسط متعرفا بوحدانيته في عالمين عالم الخلق وعالم الامر وهو عالم التدبير (الا له الخلق والامر) فكان استواؤه على العرش للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق لقوله تعالى (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه) و بهذا يفهم سر تعدية الاستواء العرشي بعلى لان التدبير للامر

لا بد فيه من استعلاء واستيلاء

اعتبار اعتبر بعد فهم هذا قوله تعالى في خطابه لنبينا صلى الله عليه وسلم (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك) واعتبر ما اثمرته هذه التسوية والتعديل بقوله عنه ليلة الاسراء (ذو مرة فاستوى وهو بالافق الأعلى) مع قوله صلى الله عليه وسلم بلغت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام

ومن المعلوم ان القلم انما يجري بالقدر كما ثبت في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما هو كائن الى الابد وهذا اعتبار يعلم ان الاستواء عبارة عما قررناه لك من ان استواءه قيامه بالقسط وتقدير المقادير في عالم خلقه وعالم امره تعالى

فصل ومن الاحاديث المتشابهة احاديث نزوله سبحانه كل ليلة الى سماء الدنيا وهو لا ينافي ما ذكرناه ولا يستلزم اثبات الجهة ولا اتصافه تعالى بالحركة والنقلة فانها عرض والاعراض يلزمها الحدوث والحدوث على القديم محال على ماهو مقرر في الكتب الكلامية ولسنا له الان وانما القصد تخرج صفة النزول على ماوافق القواعد التي مهدناها في صفاته سبحانه وقد اول بعضهم نزوله بنزول علمه او قدرته ونحوه وهو غير منج فان علمه وقدرته صفاته فان اريد نزولها نفسها فهو محال لان الصفة قائمة بالموصوف فاذا لم يجز على موصوفها النزول فصفته اولى وان اريد بنزولهما تعلقها بما في السماء فتعلق علمه وقدرته بالموجودات كلها لم يزل ولا يزال فكيف يخص بجزء من الليل او غيره هذا مع القطع بانه تعالى يمسك السموات والارض ان تزولا فمن قبضته لا تزال محيطة بالسموات كلها والارضين كلها كيف يحتاج الى النزول اليها ويختص بعلو قدرته وعلمه بها بزمان دون غيره وانما الجاري على القواعد والآيات المحكمة قد بينه الله تعالى في كتابه بمثلين مثل فيك ومثل خارج عنك

الاول قوله تعالى (الله نور السموات والارض) الآية ومن المعلوم ان النور اذا جعل محيطاً بدواير شفافة سبعة او ثمانية بعضها محيط ببعض فالاول ما يظهر

اثره في ادناها اليه واوسعها دائرة فيراها اهلها ثم ينفذ شعاعه الى الثانية فيظهر فيه على حسب صفاءه ثم هكذا الى ثالثة ورابعة الى السابعة وكل من كان في دائرة منها يرى النور قد نزل الي دائرته وهو نزول ظهور وتجل لا نزول حركة ونقلة فعلى مثل هذا خرج صفة نزوله سبحانه مع تنزيهه عن تفاوت نسب دواير الافلاك اليه وعن بعضها عن بعض وقربه من بعض بل هو اقرب الى كل من نفسه ولا بدّ لك حينئذ من مراجعة ما تقدم في الاستوآء على العرش فتعلم ان صفة النزول من لوازم صفة الاستوآء وقد تقدم ان صفة الاستواء هو قيامه في عالم الامر بسر التدبير فنزوله حينئذ هو تنزل روح الامر بسر التدبير من حضرة الاستوآء وهو العرش الى سائر دوائر الكائنات لحكمة التعرف قال تعالى (ثم استوى على العرش يدبر الامر من السماء الى الأرض) وقال تعالى (يتنزل الامر بينهنّ) ثم بين ان ذلك التنزل لحكمة التعرف بقوله تعالى (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً)

تنبيه انما نسب النزول اليه سبحانه لان روح الامر هي مظهر نور التوحيد قال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا) وقد بينا ان نور توحيده هو وجهه سبحانه فلهذا جعل في اول امره بمثابة نزوله ومعرفتها بمثابة معرفته تحقيقاً لان من عرف نفسه عرف ربه

تبصرة اذا علمت معني تزوله في العالم الاكبر فاعتبر بذلك استواءه ونزوله في عالم الانسان وهو العالم الاصغر كما سيأتي بيانه

المثل الثاني قوله تعالى (تبارك الذي بيده الملك) الى قوله حسير فلا تعتقد ان المراد منك ان يرجع بصرك في طباق السماء فان الله يعلم انك لا تدرك ببصرك ذلك لضعفه وشدة البعد وتأمل قوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) اي ان الرحمن خلقك وخلق السموات قال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) الايات فكما خلق السموات خلق فيك امثلة لها لا تفاوت بين تلك الامثلة وبينك فارجع بصرك في تلك الامثلة فعلم انه سبحانه ضرب قلبك لنفسه مثلاً وذلك ان قلبك هو صاحب دوائر أطوارك وله تعالى في استوائه

عالمان عالم خلق وهو عالم حسك وعالم امر وهو عالم غيبك فإذا اراد تدبير عالم الحس تنزل بروح امره وهو نور البصر

ومن المعلوم عند علماء التشريح ان للروح الباصر سبع طباق تتنزل بينها الى ان تصل الى عالم الحس وانت اذا تميزت ذلك حكمت بسببه ان نزوله سبحانهُ منزهٌ عن النقلة والحركة الا ترى ان القلب يدرك بالبصر و يدرك به البصر الشيء البعيد حساً في آنٍ واحدٍ من غير تنقل ولا خطور في طباقه ينفذ من بعضها لبعض ولا مهلةٍ في تنزله ورجوعه اليه ولا تفاوت في نسبته اليها

وقد قال المحققون من اهل النظر ان العين مرآة القلب اي من نظر الى عين رجل رأى منها حقيقة قلبه ولتحقق الروح الباصر بالقلب اشتبه علي كثير من العقلاء فاعتقدوا ان البصر ليس حساً مغايراً للقلب وكذا باقي الحواس بل هي بمثابة الشبابيك والقلب هو المدرك منها لما في عالم الحس وهذا كله يكشف لك سرّ نسبة النزول الى ربنا سبحانه بنزول روح الامر وكونه من اكبر آيات توحيده

تذكرة في الحديث ما من مسلم يسلم عليّ الا ردّ الله عليّ روحي لأ ردّ عليه سلامهُ وقد نبهت على الاشكال المتعلق بهذا وجوابهُ في الامالي والقصد نذكره هنا مناسبة لما نحن فيهِ فان للعبد مع الله حالين حالا يجمع روحه عليه تحقيقاً لتوحيده وتكميلاً لشهوده وحالا يرد روحه اليهِ هدايةً لخلقه وتوفيةً لحقه وهذا الجمع والرد من الاسرار الالهية نبه بهِ النبي صلى الله عليه وسلم على ان حاله في مماته كحاله في حياتهِ ولا يزال بروحه عند الله واذا سلم عليهِ مسلم او جاءه زائرٌ ردّ الله اليهِ روحهُ كما كان يردها في حياته وفيما ذكرناه من الروح الباصر كشفٌ لحقيقة ذلك فإنه من نفس الامر وينجمع فيهِ الروح الباصر الى القلب مؤدياً اليهِ ما يراه في عالم الحس ثم يرد للعين من غير شعورٍ بنقلةٍ ولا كيفية ولا زمان فلو حلف حالف ان روحه الباصر ما زايل قلبه لم يحنث ولو حلف حالف انهُ ما زايل عينهُ لم يحنث كذلك لا يلزم من رد روحه اليهِ لرد سلام المؤمن المسلم عليه ان لا تكون باقية عند ربها ولا من بقائها عنده ان لا تكون مردودة الى نبيه والله اعلم

تبصرة اذا سمعت بنزول ربنا كل ليلة الحديث فلا يكن حظك منهُ النزول

في عوالم الحس واعتبر بذلك نزوله سبحانهُ بروح ذكره الى سالم قلبك الا تراه كيف نبهك على هذا بقوله تعالى (فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكراً) الاية ثم قال بعده (الله الذي خلق سبع سموات) الآية فبدأ بآية نزول ذكره قبل آية نزول امره تنبيهاً على الاهتمام بالاول وقال في الاول (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور)وقال في الثاني(لتعلموا ان الله على كل شيء قدير)وذلك يقتضي ان نزوله بروح الذكر يثمر النور والهداية وان الله يتولى اخراج العبد من ظلمته ولا يكله الى نفسه وان نزوله بروح الامر يثمر الدلالة والتكليف بالعلم ولم يبين بين من دُل و بين من نُور و بين من حُمل وأُخرج و بين من حُمل وكلف

تنبيه اختصاص نزوله بالثلث الاخير من الليل له ظاهر و باطن فاما الظاهر فلأن الليل محل النوم وتوفي الانفس ورقيها الى الله تعالى

وقد ذكر ارباب العلم الطبيعي ان النوم المعتبر في صلاح البدن ثمان ساعات وهي ثلثا الليل فاقتضت حكمة الربوبية تخصيص النزول بالثلث الاخر رحمةً للعباد وتلطفاً بهم حتى يكونوا قد تيقظوا وتأهبوا لقبول ما ينزّل على قلوبهم من بركات نزوله سبحانهُ واما الباطن فلانّ الحجاب هو ليل القلوب وهو ناشيء عن نوم القلب وفي الحديث يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم اذا نام ثلاث عقد فاذا قام فذكر الله انحلت عقدة فاذا توضأ انحلت عقدة ثانية فاذا صلى انحلت ثلاث عقد فالقلب اذا نام بليله عقد الشيطان فاذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدةٌ فذهب ثلث ليله فاذا توضأ انحلت عقدتان فذهب ثلثا ليله ووضوءه استغفاره قال تعالى في قصة نوح (فقلت استغفروا ربكم انهُ كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً) فاذا صلى فصلاته في ثلث ليل الحجاب الآخر وهي العقدة الثالثة وهنالك يكون نزول روح الذكر عليه فتنحل عقده كلها و يكشف له عن حقيقة ان الصلاة صلة بين العبد و بين ربه وعلامة الوصلة كشف ليل الحجاب والتلذذ بروح الخطاب

فصل ومن المتشابه صفة مجيئه سبحانه وتعالى واتيانه في نحو قوله تعالى

(هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او يأتي ربك) الاية وقوله تعالى (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) هو ايضاً يرجع الى معنى المحكم ولا ينافيه لان من المحكم قوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) فاذا رددت اليه قوله (وجاء ربك والملك صفاً صفاً)علمت انه يتجلى بوحدانيته في الروح وان المجيء للروح ونسب اليه تعالى كما نسب نزول الروح اليه لتجليه فيه وتحقيقه ان الروح هو من عالم الامر وقد قال تعالى (هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او ياتي امر ربك) وقد تقدم ذكر اتيانه في ظلل الغمام فلا حاجة لاعادته

تحقيق اعلم ان الروح الاصلي الجامع لحقائق الصفات في عالم الامر من قوله تعالى (يوم يقوم الروح) وهو روح القدس المحمدي استواء ونزولاً ومجيئاً واتياناً وهو صاحب التجلي بنور التوحيد في مظاهر السموات والارض وفي ظلل غمام الشرائع وصور الاعمال كما تقدم وهو صاحب الرحم الايمانية والنسب المحمدي بدليل قوله تعالى للرحم الا ترضين ان من وصلك وصلته ومن قطعك بتته مع قوله صلى الله عليه وسلم كل نسب يوم القيمة منقطع الا نسبي والى رحمه المتعلقة بالعرش تعرج الارواح كل ليلة عند النوم (الله يتوفى الانفس حين موتها) الاية فما كان منها طاهراً سجد تحت العرش كما في الحديث فسجوده وصلته لها وبسيماها يعرف بدليل قوله تعالى في المتصلين بالمعية المحمدية (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) وما كان منها غير طاهر بسبب التمريج الذي حصل له من الشيطان المخلوق من مارج من نار لم يؤذن له لانه قطعها باتباع العدو فيسجد قاصياً فبعده عنها ثمرة قطعه لها وعدم الاذن له هو قطع الله له

تنبيه هذه هي الرحم التي اشتق لها من اسمه الرحمن صاحب الاسماء الحسنى في قوله تعالى (قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) فما من اسم حسن للعبد الا وهو مشتق من اسمائه الحسنى واليها مرجعه واشتقاقه منها على حسب صلته للرحم الايمانية المحمديه وعلامة صلته بها صدق مودته لاخوانه المؤمنين وقوة الفته بهم وانجماعه عليهم وعلامة قطعه لها مفارقته لهم واليه اشار قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) الآية مع قوله

تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) فانظر بسبب التفرق كيف قطع عنهم نسبةُ المحمدي بقوله تعالى (لست منهم) ونبه على انهم قد قطعوا عن الله تعالى بقوله (لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) فتحقق بذلك قوله (ومن قطعك بتّه)

اشارة وصلة الروح المحمدية والرحم الايمانية وصجودها على حسب ما فطرت عليه في الاصل من سر لا اله الا الله ورثته من نورها وارثها من نورها تارةً يكون بسبب وهو القيام بحقها وتارة يكون بلا سبب وهو امتزاجها بالروح الايمانية في قوله تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) فمن قام بحق لا اله الا الله فهو احق بها وهو صاحب سبب ومن ايد بروحها فهو صاحب نسب وقد ذكرها الله تعالى في قوله (والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها)

فصل في الحديث كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشهُ على الماء وكتب في الذكر كل شيء اخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما وقد كثر ذكر معية الله تعالى لعبده في مواضع من الكتاب والسنة وهو من المتشابه ورجوعه الى المحكم بان يعلم ان الله سبحانه في الموجودات قد ضرب لنفسه مثلا بالواحد في الاعداد

ومن المعلوم ان ما من عدد الا وهو في الحقيقة يرجع الى الواحد فالاثنان من شهود الواحد مرةً مرةً والثلاثة من شهوده مرةً مرةً مرةً وهكذا جميع الاعداد فلو طلبت لعددٍ من الاعداد حقيقةً مجردة عن الواحد لم تجده وبسبب ذلك كانت الاعداد لا تتناهى لان تجليات الواحد لا تتناهى ولولا معية الواحد للواحد ما ثبتت الشفعية ولولا احاطته بالشفعية ما ثبتت الوترية وهو الاول والآخر (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم) الآية فمن اشهده الله تعالى آخرية معيته له فقد شفعهُ فان اشهده مع ذلك اوليةً معيته فقد اوتره ان الله وتر يحب الوتر ومن اشهده سرَّ وحدانيته في نفسه برجوع الاعداد اليه فقد وحده ما وحد الواحد الا الواحد وبهذا يفهم السر في قولهم من عرف نفسهُ عرف ربهُ

تنبيه اعلم انه تعالى كما انه واحد في ذاته فهو واحد في صفاته وذاته سبحانه

منزهة عن المعية فليست مع شيء ولا معها شيء ولكنه مع كل شيء بصفاته وكذلك العبد الذي وحده واشهده سر الوحدانية في ذاته بتجلي ذاته المقدسة على سره فقد ظهر لك بهذا ان المعية من احكام الصفات فرب عبد يشهده الله معيته له بصفة وصفين كقوله تعالى (انني معكما اسمع وارى) ورب عبد يشهده معيته له مطلقاً كقوله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضى الله عنه (لاتحزن ان الله معنا) ومعية الصفات عامة لجميع المخلوقات وانما اختصاص الانبياء والاولياء بالشهود والتأييد بالروح منها كما حكى عن احد اصحاب الشيخ ابي النجا انه كان يقول قال لي وقلت له ويكثر من ذلك فقيل له من هو الذي يقول لك وتقول له قال الله قالوا الله يقول لك قال نعم ويأخذ بيدي كلما قمت وقعدت قالوا لك هذا خاصة قال لا بل للناس عامة ولكنني انا اشهدوهم لا يشهدون

تبصرة رب عبد يخص بشهود المعية ولا يتعدى ذلك منه الي اتباعه لقول موسى صلي الله عليه وسلم لبني اسرائيل (ان معي ربي سيهدين) ورب عبد يتعدى منه نوره الى اتباعه فيشهدون به سر المعية كقول محمد صلي الله عليه وسلم (ان الله معنا) ولم يقل معي لانه امد ابا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن هاهنا يفهم سر انزال السكينة على ابي بكر رضى الله عنه والا لم يثبت تحت اعباء هذا التجلي والشهود واين معية الربوبية في قصة موسى صلى الله عليه وسلم من معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم

تربية اذا اردت شهود نور المعية فعليك بتزكية النفس (قد افلح من زكاها) وفي حديث رواه ابو عبدالله الترمذي بسنده الى عبدالله بن معاوية المغافري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن طعم طعم الايمان من عبدالله وحده لا اله الا هو واعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ولم يعط الهرمة ولا الدوية ولا المريضة ولكن من اوسط اموالكم وزكى نفسه فقال رجل وما تزكية نفسه قال ان يعلم ان الله معه حيثما كان فانظر كيف نبه على ان تزكية النفس ثمرة العلم بمعية الله تعالى .

فان قلت وبماذا ازكى قلت بلزوم الذكر قال الله تعالى (انا عند ظن عبدي

بي وانا معه حين يذكرني) فعلى حسب الذكر يكون تطهير النفس وتزكيتها (قد افلح من تزكى وذكر اسم ربهِ فصلى) وعلى حسب التزكية يكون شهود المعية

فصل ومن الصفات المتشابهة صفة الحب وقد نسبهُ الكتاب الى الله تعالى بقوله (يحبهم ويحبونهُ) وبقوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وكذا في السنة في احاديث وقد اختلف علمآء الظاهر والباطن في تأويله والمعول عليه عندهم انهُ يرجع الى التعبير بالشيء عن ثمراته فحب العبد لله تعالى محبة ادامته لذكره واقامته لطاعته وحب الله سوابغ نعمه وجوده عليه وهذا فيه تعطيل لحقيقة الوصف والذي حملهم على ذلك ان الحب في الشاهد عبارة عن ميل القلب وهو مستحيل على الله سبحانه لتعاليه عن الحوادث

والتحقيق ان الحب يرجع حقيقتهُ مطلقًا الى سر روحاني يجمع الله تعالى بـه المتفرق ويوحد المتعدد وذلك ان الله نور السموات والارض فما من شيء من الكائنات الا في المعية

ومن المعلوم ان المخلوقات مختلفة من حيث الاسماء والصور ومراد الله تعالى منها ائتلافها في الرجوع الى واحد(واليه يرجع الامر كله)وانما تأتلف الصور والاسمآء المختلفة من حيث ذلك السر القائم بها من تجلي الواحد وليست كلها متساوية بل هي متفاوتة على حسب قـابليتها لتجليه وقـد جعل الله تعالى الحب سراً يكشف حجاب الاختلاف بالصورة والاسم عما قام بهما من السر المتفق فيأتلف السر مع السر بواسطة التعارف

وفي الحديث الارواح جنود مجندة فمـا تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فان حصل الكشف من الجانبين حصل التحابب من الجانبين(يحبهم ويحبونهُ) وان حصل من احد الجانبين اختص بالمحبة ولهذا تجد بعض النـاس يحب من لا يظهر عليه انه يحبه لان المحب كشف له عن سر التوحيد المناسب له القـائم بمحبوبه فألفه ولم يكشف لمحبوبه عن السر القائم بمحبه وجملة الامر ان لا محبوب في الوجود الا الله ولقد احسن بعضهم في التشبيه على ذلك اجمالاً فقال في محبوبه شعراً

شيءٌ بهِ يسبي القلوب سوى الذي يدعى الجمال ولست اعلم مـا هو

وقال بعضهم دو بيت ·

البلبل يا صاح يشدو بفنن والورق تنوح با ترى العشق لمن
والكون جميعهُ غرام وشجن شاباشك يا من هو للكل فتن

فقدظهر ان الحب يكشف حجاب الحوادث عن اسرار التوحيد فيجمع متفرقها ويتحد عددها ومن توهم انهُ الميل او الارادة اوَ بعض الاثار الحادثة التي يجدها المحب فليس على حقيقة من امره وانما التبس عليه الاعراض المنفعلة عن الحب بالحب

واعلم انهُ لا يطلق على العبد انهُ يحب الله تعالى الا اذا كشف له عن سر التوحيد مجرداً عن الحوادث فاحبهُ فأَما اذا احب السر متوهماً انهُ احب مظهره عن الحوادث فلا وبهذا حصل الالتباس في حقيقة الحب وفي اطلاقهِ عَلَى غير الله تعالى وفي صحة الاطلاق عليهِ

فصلٌ قولنا لا يصدق حب الله الا بالكشف عن سر التوحيد مجرداً عن الحوادث مجملٌ لهُ تفصيل وهو ان كشف تجريده تارة يكون عياناً وتارة يكون ايماناً فالعيان كحال ابراهيم صلى الله عليهِ وسلم حيث توجه في الكواكب ثم في القمر ثم في الشمس ثم توجه اليهِ مجرداً فقال (وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) الاية ونبه على تجريد حبهِ عن الحادث بقولهِ (لا احب الآفلين) والايمان كحال من اخبره الصادق ان السر في هذا المظهر فنشالهُ بنور التصديق والايمان حباً كشف لهُ عن ذلك السر كشفا ايمانيا ومنهُ قولهُ تعالى (قل ان كنتم تحبون الله) فنبه عَلَى ان سر التوحيد المأذون في محبتهِ لهُ مظهر وهو ظلة غمام شريعتهِ واتباعه فيها مستلزم اتصافهم بها وهو بمثابة تعرض المحب للمواطن التي يظهر لهُ فيها محبو بهُ ومن شأن التعرض لمواطن الحبيب ان يراقب وجه محبو به عند تجليه فيها فلهذا امر العبد بالمراقبة في قوله صلى الله عليهِ وسلم (الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانهُ يراك)

تبصرة ومن هذا قوله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله. ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) ونحوه من الايات يتضمن الاخبار للعباد ان سر التوحيد

الجامع مظهره محمد صلى الله عليه وسلم من احبه فقد احب الله فمن الاتباع من كشف له تجرد ذلك السر عياناً كحال ابي بكر رضى الله عنه في قوله بعد موته من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ولشهود ذلك السر كان يسجد له الحجر والبعير وتسعى اليه الشجر ومن الاتباع من حجب عن تجرده حتى اخبر به بقوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله) الى قوله(لوجدوا الله)

ويحكى عن بعض الشيوخ انه رأه صلى الله عليه وسلم في نومه فقال اعذرني يارسول الله فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال له ويحك يامبارك من احبني فقد احب الله ومن احب الله فقد احبني

تحقيق قوله تعالى (ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته) الحديث فيه اسرار منها التنبيه على ان الحب سر يجمع المتفرق و يوحد المتعدد كما ذكرناه من كلام المحققين الحبيب انت الا انك غيره ومنها التنبيه على ان العبد تارة يكون محباً متقرباً وتارة يكون محبوباً وترجع حقيقة التقسيم الى شهود العبد وحظه من تجلى قوله تعالى (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه) فان شهد ما منه الى الله فقد شهد رجوع الامر بسر التوحيد منه الى الله فهو محب وعلامته دوام ذكره وتوجهه بالتقرب والنوافل وغلبة الشوق والقلق والهيام ونحوه وان شهد ما من الله اليه فقد شهد بدء الامر من الله وتنزله بروح التوحيد اليه فهو محبوب وعلامته السكون والاستسلام ودوام المراقبة ومنها التنبيه على ان المحبوب قسمان قسم يفنى بمحبوبه وقسم يبقى به فنبه على حال الاول بقوله كنت سمعه ونبه على حال الثاني بقوله الذي يسمع به ونبه بهما على انه لا بقاء الا بعد فناء ومنه قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) فنبه على الفناء بقوله وما رميت وعلى البقاء بقوله اذ رميت وعلى تحقيق المحب بالحبيب بقوله ولكن الله رمى حقيقة ومن قوله «سبحان الذي اسرى بعبده ليلا» الى قوله «انه هو السميع البصير» الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم والسميع البصير هو الحبيب شعر

رأت قمر السماء فاذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وانما يتضح قصد الشاعر بتخرجه على ما نحن فيه وهو ان يشير الى ان قمر السماء من عشاق محبوبتهُ وان محبوبتهُ رأتهُ ذات ليلة فكستهُ بروءيتها له نور جمالها ومحاسن صفاتها والقت عليه شبهها واعارته اسمها فاذكرت هذا العاشق بتلك الليالي التي وصلتهُ بالرقمتين فانها بوصلها له افنتهُ عن صفاتهِ وغلبت عليه بصفاتها حتى صارت معهُ كالقمر الواحد وكلاهما ينظره ولهذا قال كلانا ناظر قمراً اي قمراً واحداً تعدد مظهره لكنها تنظره بعينهِ وهي عين المحبة لان المحب صار محبوباً وهو ينظر بعينها لانها اعارته عينها فرأها بها فكان البصير لها نفسها

فصل ومن المتشابه لفظة عند وقد جاءت منسوبةً الى الله في الكتاب والسنة كثيراً وهي في اللغة كلمة تستعمل لافادة الملك ولافادة الحضور ولا اشتباه باستعمالها لله تعالى بافادة الملك وانما الاشتباه بافادتها للحضور واعلم ان حضرة لله سبحانهُ وتعالى ليست حضرة مكانيـة لتعاليه عز عن المكان كما تقدم بل حضرتـهُ وراء حضرات السموات والارض قال تعالى (وله من في السموات ومن في الارض ومن عنده) عطف على من في السموات والارض والعطف يقتضي المغايرة وهي مع كونها وراء السموات والارض فهي مهيمنة على حضرات السموات والارض ومحيطة بها فما من حضرة مكانية الا وحضرة الله تعالى محيطة بها وهو الله في السموات وفي الارض فاذا تقرر ذلك فعنديته سبحانهُ متعددة بحسب الاضافـة متحدة بحسب الحقيقة فاما تعددها فلأنهُ ما من اسم من اسمائه تعالى الا وله في تجليه عندية تخصهُ يشهدها ارباب القلوب الذاكرة وفيها مجالس المناجاة لهم ويخلع لهم خلع الرضا منهُ ومن سلطان ذلك الاسم تخوج الربوبية لاهله فيهـا وتواقيع الولاية بذكرها واما اتحادها بحسب الحقيقة فعند الله هو موطن استقرار عباده قال تعالى (وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع) ومعنى ذلك ان عندية الله ما زالت ولا تزال محيطة بعبده كما قال تعالى (ونحن اقرب اليه منكم) (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ولكن رب عبد اديم له هذا الشهود فهو لا يزال

مستقراً عند الله في محياه ومماته ومبداه وعوده وان اختلفت عليه الاحوال ومعنى توفي هذا العبد بالموت الى الله توفيه في مراتب التجلي وحقائق الكشف وتعاقب مظاهر العندية على روحه مظهر بعد مظهر ورب عبد شهد في البدء عندية الله تعالى له ثم حجب عنه مكانه من الله تعالى بسبب كثرة تخليطه بظلمة اكتسابه فذالك مستودع قد استودعه الله رسل اسبابه وملائكته الموكلين به فلا يزال محجوباً الى الاجل المقدر له فيرد الى الله تعالى كما قيل

وما المال والاهلون الا وديعة　　ولا بد يوماً ان ترد الودائع

وترجع حقيقة المراد الى كشف الحجاب وتجلي احاطة الله تعالى به كما قال تعالى (ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) الى قوله (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) هنالك تشهد انه لا مستقر الا عند الله تعالى وقد نظمت في ذلك شعراً

قد كنت احسب اني عن فنائكم　　ناء وان بأرض الله متسعا

فلم يزل لطفكم بي تحت حجبكم　　حتى رفعتم حجاب العز فارتفعا

فلاح اني مقيم ما برحت على الا　　بواب عند اوآن اللطف ما انقطعا

اشارة قوله وهو القاهر فوق عباده تنبيه على العباد المخصوصين من اهل العندية والاستقرار وقوله (ويرسل عليكم حفظة) خطاب للمحجوبين من المستودعين للحفظة ولهذا قال (حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) ثم حذر الكذب بذلك بقوله (وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر)ونبه على ان مستقر الانباء عنده وانه يظهر بزوال حجاب البصيرة بقوله (فاذا برق البصر وخسف القمر) الى قوله (الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر)

تنبيه قوله تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) له ظاهر وحقيقة فظاهره ان ما عند الله من المال والولد وزينة الدنيا بصدد الزوال والنفاد وما عنده من الجزاء على تقدير انفاقه باق لا ينفد واما حقيقته بكل شيء فله نسبتان نسبة عارضة وهي نسبته للعبد ونسبة اصلية وهي نسبته لله تعالى فمعنى كونه عند العبد

هو نسبته وهو باق لا يزول والمراد ان العبد يخرج الاشياء كلها عنه ويمحو نسبتها اليه بنسبتها الي الله تعالى وقد بقيت له ومتى نسبها الى نفسه وقدرته نفدت قال الله تعالى (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا) الآية فعند غم القدرة عليه اخذت وزالت وقال تعالى في ضده (فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك) فارشدها عند الخوف ان تلقيه من يدها وتخرجه عن حفظها فان الله تعالى يتولاه بحفظه ويبقيه برحمته .

تربية قوله عند الله الرزق فيه تلطف بعبده في استدعائه للاقبال عليه بالاعراض عن سواه لان العبد مجبول على الافتقار الرزق وايثاره بالطلب فلو جعل الرزق لا يكتسب الا بالاقبال على الاسباب شغله ذلك عن الله تعالي وكان من لطف الله بعبده انه ابتغاء الرزق بالاقبال عليه اقبالا يشهد به العبد قرب الله منه واحاطته به فيكون العبد بذلك في حضرته وعنده ومتى بلغ العبد الى هذا جاءه الرزق من حيث لا يحتسب الا ترى مريم لما تركت الاسباب اقبلت بلزوم المحراب كان زكرياء صلى الله عليه وسلم (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انا لك هذا قالت هو من عند الله)الآية

فصل ومن المتشابه لفظة اين وهي كلمة يستفهم بها عن الحيز المكاني وقد ورد بها الكتاب في قوله(وهو معكم اينما كنتم) والسنة في قوله صلى الله عليه وسلم للجارية (اين الله فقالت في السماء) ومن المعلوم ان التحيز على الله محال واما اين في الآية لانها اطلقت لافادة معية الله تعال للمخاطبة في الأين اللازم لهم لا له فهو مع كل صاحب اين بلا أين واما اطلاقه في حديث الجارية فقد تقدم الكلام عليه في فصل الكلام على الجهة والاستعلاء

فصل ومن المتشابه صفة الضحك والرضى وقد ورد الرضى والغضب في الكتاب والسنة وورد الضحك في السنة في احاديث وقد اختلف اهل التحقيق في معنى الرضى والشاهد وهل هو حال او مقام واياما كان فهو من قولهم الكيف الحادثة وهو يستحيل على الله تعالى والضحك في الشاهد معروف وامتناعه على الله بالنسبة لذاته

ضروري فلذلك كان المتشابه ورجوعه للمحاكم بما قدمناه في الصورة فيكون ظهور الضحك في الصورة التي تجلي فيها ربنا على عبده ولا اشتباه في ذلك لان اصل الضحك عند الحكماء ينشأ من اقبال القلب الى جهة الصدر فينفعل لاقباله الى هذه الكيفية التي تسمى ضحكاً والفاعل في الحقيقة لذلك كلهُ هو الله تعالى فلا اشكال اي انهُ اذا اقبل بروح توحيده على عبده في الصورة المتشكلة من علمه انهُ يظهر على تلك الصورة من علمه باقباله هيئة الضحك المناسبة للضحك المعتاد باقبال القلب وينسب ذلك الضحك اليهِ كنسبة الصورة والوجه اليهِ بالمعنى الذي قدمناه و يتضاعف بذلك نعيم الروية للمؤمن وافاضة جوايز وخلعة الكرم عليهِ وقد ثبت انهُ يلقي المؤمن اذا مات بروح وريحان ورب غير غضبان فانظر كيف مظهر الربوبية وان العبد يلقي الروح بتلاقي ربهِ ولولا ذلك لا شكل على قواعد العربية لانهُ عطف الروح وشرك بينهما في تعدي الفعل اليهِ بالباء على وجه تعديهِ للمفعول وذلك ينافي كون الرب فاعلا للقائه واذا انت خرجتهُ على المعنى الذي ذكرناه لم يبق فيهِ اشكال والله تعالى اعلم

انتهى



ان احسن المجاميع الادبية في هذا الان كتاب مناجاة الحبيب في الغزل والنسيب وكتاب ابدع مانظم في الاخلاق والحكم وكتاب بدائع الشعر في الحماسة والفخر ولما كان اسم كل منهم يدل على ما تضمنه مسماه في بابه دلالة العنوان على كتابه اغنتنا الاشارة عن تطاويل العبارة فمن اراد فليطلبهم او بعضهم من مكتبة الاقتصاد في بيروت

